الاحتجاج القرائي في فكر السُّهَيْليّ (٥٠٨ - ٥٨١هـ)

دراسة في ضوء الدرس اللغوي الحديث

إعداد

أ.د/ مصطفى أحمد محمد إسماعيل

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

الاحتجاج القرائي في فكر السّهَيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١هـ)
دراسة في ضوء الدرس اللغوي الحديث

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

قسم أصول اللغة ، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر ، مصر

البريد الاليكتروني:

mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يأتي هذا البحث كحلقة ثانية بعد الحلقة الأولى التي قدمت توظيفًا لغويا للقراءات القرآنية عند أبي القاسم السهيلي، ولمّا كانت قضية الاحتجاج تمثل أهمية في دراسة علوم القرآن الكريم، حاول البحث أن يبرز كيف كان يحتج السهيلي للقراءات في كتبه اللغوية وغير اللغوية، وكيف السهيلي أن يحتج بالقراءات في تأصيل المصطلحات والقضايا التي كان يتعرض لها في شرحه للسيرة النبوية من خلال كتابه الماتع الروض الأُنف.

الكلمات المفتاحية : الاحتجاج-أبو القاسم السهيلي - القراءات القرآنية – دراسة تحليلية

Reading protest in the thought of As-Suhili (508-581 A.H.)
A study in the light of the modern linguistic lesson

Dr. Mostafa Ahmad Muhammad Ismael,
Department of Language Origins, Faculty of Arabic Language in Menoufia, Al-Azhar University, Egypt
College email:mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

This research comes as a second link after the first episode, which presented a linguistic employment of Quranic readings by Abu Al-Qasim Al-Suhaili,And since the issue of protest was important in studying the science of the Noble Qur'an, the research attempted to highlight how Suhaili protested the readings in his linguistic and non-linguistic books, And how Al-Suhaili invokes the readings in establishing the terminology and issues that he was exposed to in his explanation of the Prophet's biography through his book Useful Al-Rawd Al-Anf

Keywords :invoking - Abu al-Qasim al-Suhaili- Qur'anic readings

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ من أُنزل عليه القرآن الكريم هدىً للناس أجمعين، ورضي الله عن آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فهذه هي الحلقة الثانية [١] مع التراث القرائي للعلامة أبي القاسم السهيلي (ت٥٠٨=٥٨١هـ)"إمام اللغة والنحو، وصاحب الاختراعات والاستنباطات، مع فطانة فائقة وشهامة زائدة" [٢]، تستظهر هذه الحلقة الاحتجاج القرائي في فكر هذا العالِم في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ويظهر هذا بعد ذكر عناصر المقدمة لهذا البحث علىٰ النحو الآتي:

أولا: -أهمية البحث وأسباب اختياره:

للبحث في هذا الموضوع أهمية علمية في ميدان الدراسات القرآنية اللغوية، ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

١-أهمية الموضوع ومكانة مجاله، وهو القراءات القرآنية التي هي من الدين بالمكان المعروف.

٢-كونُ العلامة السهيليّ من العلماء الذين شهد لهم القدامى بالمكانة المرموقة في الدراسات القرآنية اللغوية.

٣-وظّف السهيلي القراءات القرآنية من الناحية اللغوية لتأصيل بعض الألفاظ الواردة في السيرة النبوية، وهذا باب قلّ أن تجد أحدا من علماء

---

[١] نشرت الحلقة الأولىٰ في حولية كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا، العدد الخامس سنة ٢٠١٩م.

[٢] البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص١٨١) وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص٣٦٧)

القراءات التفت إليه.

٤-رؤية السهيلي لتنوع القراءات، وأن هذا التنوع القرآني لا يكون من قبيل التنوع اللهجي، بل إنه يرى أن أي تنوع في القراءات يترتب عليه تنوع في المعنى، وهذا ما نراه في نحو قوله تعالى: قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [سورة النمل:٢٢].

٥-تفتح الدراسة على ميدان جديد للقراءات وعلومها، ما يدعو حملة القرآن ودارسي اللغة إلى النظر فيه.

٦-عدم وقوفي على دراسة علمية تناولت هذا الموضوع من خلال هذا الجانب.

ثانيا: أسئلة البحث وإشكاليته:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على السؤال الآتي:

إلى أي مدى استطاع السهيلي أن يوظف القراءات القرآنية في شرح السيرة النبوية؟، وكيف احتج بها في مسائل السيرة النبوية؟، وما معالم توجيهه للقراءات القرآنية؟

ثالثا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١-جمع القراءات القرآنية التي وجهها العلامة السهيلي، واحتج لها، وأبرز أثرها.

٢-إبراز معالم توجيه السهيلي للقراءات والاحتجاج لها.

٣-بيان ما أضافه السهيلي في الاحتجاج للقراءات.

رابعا: حدود البحث

قام الباحث باستقصاء القراءات القرآنية التي ذكرها السهيلي في كتبه: "الروض الأنف"، و" أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه"، و" غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن، و"نتائج

الفكر في النحو".

ولعل سائلا يسأل: ما الداعي الذي جعل السهيلي يتخذ هذا المنهج في كتاب كالروض الأنف وهو من كتب السيرة النبوية؟

أقول: لعل هذا يرجع إلى تمكن السهيلي من القراءات القرآنية حيث استطاع أن يوظفها في شرح السيرة من خلال:

(١) الآيات القرآنية الواردة في السيرة النبوية، وما فيها من قراءات.

(٢) الأبيات الشعرية، وما يمكن أن يخرج ما جاء فيها على القراءات القرآنية.

(٣) المواقف السياقية التي تجلت القراءات بتنوعها لبيان المعنى.

(٤) ضبط الأسماء والألفاظ الواردة في السيرة النبوية إلى غير ذلك مما سيظهره البحث.

خامسا: خطة البحث:

اشتمل هذا البحث علىٰ مقدمة ومبحثين:

أما المقدمة فقد اشتملت علىٰ أهداف البحث، وأسباب اختياره، ومنهجه، وخطته، وإشكالية البحث، والدراسات السابقة.

وكان المبحث الأول لتوجيه القراءات والاحتجاج لها، وكان المبحث الثاني للاحتجاج بالقراءات.

ثم يتلوهما خاتمة، وثبت لأهم المراجع والمصادر وآخر للموضوعات.

سادسا: منهج البحث:

سيتخذ الباحث المنهج الوصفي من خلال أداتي التحليل والنقد، مع اعتماد المنهج المقارن حيث احتاج البحث إليه.

سابعا: الدراسات السابقة:

كانت الدراسة الأولى للباحث بعنوان: " التوظيف اللغوي للقراءات القرآنية: أبو القاسم السهيلي (٥٠٨-٥٨١هـ) أنموذجا: عرض وتحليل" والتي ارتأى أحد الأساتذة الأجلاء أن يخرج بعنوان: " أثر القراءات القرآنية في خدمة الدراسات اللغوية والشرعية، السهيلي(٥٠٨-٥٨١ هـ) أنموذجا: عرض ومناقشة"، وقد نشر هذا البحث بهذا العنوان في المجلة العلمية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا-العدد الخامس ١٤٤١هـ=٢٠١٩م، ونشر فيه الدراسات السابقة لهذا البحث[1].

---

[1] قامت دراسات سابقة على تراث السهيلي، منها:

أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي: د. محمد إبراهيم البنا، دار البيان العربي، جدة، ط١، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

اعتراضات السهيلي على النحاة، جمعا ودراسة: عبد الله بن زيد آل داود (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٤ هـ/ ١٤١٥ هـ.

تقويم الفكر النحوي للسهيلي من خلال كتابه (نتائج الفكر في النحو) في ضوء علم اللغة الحديث، دراسة تحليلية تأصيلية: ويزة أعراب (رسالة ماجستير)، جامعة مولود معمري، الجزائر ٢٠١٢م.

الجامع لتفسير الإمام السهيلي (ت٥٨١ هـ) وبذيله مسألة تفسيرية للإمام السهيلي تحقق لأول مرة " خروج اللفظ عن أصله لما دخله من المعنى في ضمنه": جمعه وحققه وعلق عليه: د. كيان أحمد حازم يحيى، دار المدار الإسلامي ٢٠١٩م.

علوم القرآن عند الإمام السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) من خلال كتابه " الروض الأنف": عبد العزيز أيت مالك (د.ت).

الفروق الدلالية بين التراكيب القرآنية المتناظرة عند السهيلي: أسيل متعب الجنابي، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الحادي والعشرون، ٢٠١٦م.

ما لا ينصرف وموانع الصرف بين جمهور النحويين والسهيلي: د. عبد العظيم فتحي خليل، دار جوامع الكلم، مطبعة الأمانة، **الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.**

والله أسأل أن يتقبل منا العمل، وأن يتجاوز عن الخطأ والزلل، وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس:١٠]﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨].

د/ مصطفى أحمد محمد إسماعيل
أستاذ أصول اللغة المساعد
في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

مسائل النحو والصرف في أمالي السهيلي (عرض وتحليل): غادة محمد أحمد نصر، (رسالة ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية (د.ت).

منهج السهيلي في الدرس النحوي: فاطمة رزاق (رسالة ماجستير)، جامعة قاصدي مرباح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ٢٠٠٩م.

المبحث الأول
توجيه القراءات والاحتجاج لها

توطئة:

يذهب فريق من العلماء إلىٰ ترادف مصطلحي التوجيه والاحتجاج، ويرون أن علم الاحتجاج أو توجيه القراءات: علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف (موافقة اللغة العربية ولو بوجه)، كما يهدف علم التوجيه إلىٰ ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين علىٰ بعض وجوه القراءات[1]، وَهُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ، بِهِ تُعْرَفُ جَلَالَةُ الْمَعَانِي وَجَزَالَتُهَا، وَقَدِ اعْتَنَىٰ الْأَئِمَّةُ بِهِ وَأَفْرَدُوا فِيهِ كُتُبًا[2].

ويرىٰ آخرون أن ثمة فرقا بين المصطلحين، فابن أبي مريم الشيرازي (ت بعد ٥٦٥هـ) **يطلق كلمة(الوجه)** علىٰ الوجه اللغوي للقراءة، **أما الحجة** فقد كان يستعملها فيما يعضد القراءة من آيات قرآنية أخرىٰ بمختلف قراءاتها، ففي قوله تعالىٰ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠]يقول: ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ﴾« بضم الياء، قرأها ابن عامر وعاصم ـ ياش[3] ـ **والوجه** أنه من أصلاه الله النار، مثل أدخله الله، والمعنىٰ سيُدخلون النار، **وحجته** قوله تعالىٰ ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ [النِّسَاء:٥٦]، وقرأ الباقون (وسيَصلون)

---

[1] مقدمات في علم القراءات ص٢٠١.

[2] البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٣٩، وينظر في مؤلفات التوجيه والاحتجاج كتاب: علم القراءات بين الرواية والدراية، أ.د/ محمد متولي منصور، أ.د/ مصطفىٰ أحمد محمد إسماعيل ص: ١٣٠-١٣٢.

[3] رمز لشعبة عن عاصم.

بالفتح، علىٰ إسناد الفعل إليهم، والمعنىٰ سيدخلون النار، وحجته قوله تعالىٰ ﴿اَصْلَوْهَا اَلْيَوْمَ﴾ [يس:٦٤] و﴿هُوَ صَالِ اَلْجَحِيمِ﴾[الصافات ١٦٣] و﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾[إبراهيم٢٩] »[1].

وهذا ما انتهجه الرازي(ت٦٠٦هـ) في تفسيره، يقول: «قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو عَمْرٍو ﴿وَاَلْكِتَٰبِ اَلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَاَلْكِتَٰبِ اَلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[المائدة: ١٣٦] عَلَىٰ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْبَاقُونَ ﴿ نَزَّلَ وَأَنْزَلَ ﴾ بِالْفَتْحِ، فَمَنْ ضَمَّ فَحُجَّتُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل : ٤٤] وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ ﴿وَاَلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ اَلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١١٤] وَمَنْ فَتَحَ فَحُجَّتُهُ قَوْلُهُ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ﴾[الحجر : ٩] وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ اَلذِّكْرَ ﴾[النحل: ٤٤]»[2].

واستعمل القرطبي(ت٦٧١هـ) مصطلح الاحتجاج في جامعه علىٰ غرار صنيع ابن أبي مريم، حيث قال: «قوله تعالىٰ: ﴿ حُسْنًا ﴾[الأحقاف : ١٥] قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ ﴿ حُسْنًا﴾ وَكَذَا هُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْكُوفِيُّونَ﴿إِحْسَٰنًا ﴾[الأحقاف:١٥]، وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الأنعام وبني إسرائيل: ﴿وَبِاَلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الأنعام: ١٥١] وَكَذَا هُوَ فِي مَصَاحِفِ الْكُوفَةِ، وَحُجَّةُ الْقِرَاءَةِ الأولى قوله تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿وَوَصَّيْنَا اَلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِيهَا»[3].

---

[1] الموضح لابن أبي مريم ١/ ٤٠٤.

[2] مفاتيح الغيب ١١/ ٢٤٣ و ١٩/ ٤٥ و٢٦/ ٣٢٠.

[3] الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٩٢.

والحاصل أن التوجيه يطلق علىٰ بيان معنىٰ القراءة وتفسيرها صوتيا أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا، وأنّ الاحتجاج يطلق علىٰ أدلة القراءة من الأساليب اللغوية الأخرىٰ، كالقرآن، والقراءات متواترة وشاذة، والحديث النبوي، والشعر العربي، ولا يراد به توثيق القراءة أو إثبات صحة قاعدةٍ لغويةٍ فيها؛ لأنّ القراءة حجة علىٰ اللغة ومصدر من مصادرها[1]، لكن الذي سيظهر من خلال البحث استعمال السهيلي للدلالتين، أي: التوجيه والاحتجاج دون تفرقة ظاهرة بينهما.

وهاكم القراءات التي وجّهها السهيلي واحتج لها حسب ترتيب سور القرآن الكريم:

[1] الشذرات الفاخرة في توجيه القراءات المتواترة: د. مصطفىٰ أحمد إسماعيل ص٣.

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[البقرة:٢٠٤]

ذكر أبو القاسم السهيلي قراءة شاذة في هذه الآية الكريمة، وبيَّن معناها، وذلك في أثناء حديثه عن سبب نزولها، فقال:"

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي خَبَرِ خُبَيْبٍ[1] وَأَصْحَابِهِ مِنْ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ فِيهِمْ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ [الْبَقَرَةُ ٢٠٤]، وَأَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ عَلَىٰ خِلَافِ قَوْلِهِ، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ الثَّقَفِيّ... "[2]، ثم استطرد في تفسير الآية، فذكر:" وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ (وَيَشْهَدُ اللهُ عَلىٰ مَا فِي قَلْبِهِ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ، وَرَفْعِ الْهَاءِ مِنْ اسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ[3]، أَيْ: وَيَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قلبه"[4].

---

[1] خُبَيْبُ بنُ عَدِيِّ بنِ عَامِرِ بنِ مَجْدَعَةَ الأَنْصَارِيُّ ... ، الشَّهِيْدُ... شَهِدَ أُحُداً، وَكَانَ فِيْمَنْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ بَنِي لِحْيَانَ، فَلَمَّا صَارُوا بِالرَّجِيْعِ غَدَرُوا بِهِم، وَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِم، وَقَتَلُوا فِيْهِم، وَأَسَرُوا خُبَيْبًا، وَزَيْدَ بنَ الدَّثِنَةِ، فَبَاعُوْهُمَا بِمَكَّةَ، فَقَتَلُوْهُمَا بِمَنْ قَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قَوْمِهِم، وَصَلَبُوْهُمَا بِالتَّنْعِيْمِ (سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٦) .

[2] الروض الأنف ٦/ ١٩٣.

[3] قراءة شاذة نسبت للحسن ومجاهد وابن محيصن في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ١١٨، وللحسن وطلحة وابن محيصن في المغني في القراءات لابن الدهان ١/ ٥٠١ ، وللحسن، وطلحة بن مصرف، وابن محيصن وابن أبي عبلة (زاد المسير ١/ ١٧١).

[4] الروض الأنف٦/ ١٩٦.

والتفسير اللغوي للقراءتين يتمثل في النقاط الآتية:

أولا: ـ قراءة الجمهور ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ مِنْ: أَشْهَدَ، والقراءة الشاذة (وَيَشْهَدُ اللهُ) مِنْ: شَهِدَ، وظاهر من التركيب أن (فَعَل) و(أَفعل) ليسا بمعنىً واحد، وأن صيغة(أفعل) للتعدية.

ثانيا: للعلماء في معنىٰ قراءة الجمهور: «قولان: أحدهما: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي، الثاني: أنه يقول: اللهم اشهد عليّ بهذا القول» [1]، والمعنىٰ علىٰ القراءة الشاذة: " يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ، وَاللهُ يَعْلَمُ مِنْهُ خِلَافَ مَا قَالَ» [2].

ثالثا: السياق يشهد للقراءتين، فقراءة الجمهور يشهد لها السياق اللاحق، وهو قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾ ، والقراءة الشاذة يؤيدها السياق القرآني، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

رابعا: ـ الشهادة في قراءة الجمهور تحتمل دلالتين:

إحداهما: الاطلاع والعلم، قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ): «وَالظَّاهِرُ عِنْدِي أَنَّ الْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يُطْلِعُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ، ولا يُعلم به أحدا لِشِدَّةِ تَكَتُّمِهِ وَإِخْفَائِهِ الْكُفْرَ، وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾، لِأَنَّ الَّذِي فِي قَلْبِهِ هُوَ خِلَافُ مَا أَظْهَرَ بِقَوْلِهِ»[3].

وثانيهما: القَسَمُ، قال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): « وَمَعْنَىٰ ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ﴾ أَنَّهُ يَقْرِنُ حُسْنَ قَوْلِهِ وَظَاهِرَ تَوَدُّدِهِ بِإِشْهَادِ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ

---

[1] زاد المسير ١/ ١٧١.

[2] الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٥.

[3] البحر المحيط ٢/ ٣٢٦.

أَنَّ مَا فِي قَلْبِهِ مُطَابِقٌ لِمَا فِي لَفْظِهِ، وَمَعْنَىٰ إِشْهَادِ الله حَلِفُهُ بِأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّمَا أَفَادَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعْنَىٰ الْمُطَابَقَةِ لِقَوْلِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَشْهَدَ اللهَ حِينَ قَالَ كَلَامًا حُلْوًا تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ مُدَّعِيًا أَنَّ قَلْبَهُ كَلِسَانِهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾[التَّوْبَة: ٦٢] »[1].

وردّه السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ) حيث يقول: «فأمَّا قراءةُ الجمهور وتفسيرُهم فإن المعنىٰ: يَحْلف بالله ويُشْهده إنه صادق، وقد جاءَتِ الشهادةُ بمعنىٰ القَسَم في آية اللِّعان[2]، قيل: فيكونُ اسمُ الله منتصبًا علىٰ حَذْفِ الجر أي: يُقْسِمُ بالله، وهذا سهوٌ من قائِله؛ لأنَّ المستعملَ بمعنىٰ القسَم «شَهِد» الثلاثي لا «أَشْهَد »الرباعي، لا تقولُ: أُشْهِد بالله، بل: أَشْهَدُ بالله، فمعنىٰ قراءةِ الجمهور: يَطَّلِعُ الله علىٰ ما في قلبه، ولا يَعْلَمُ به أحدٌ لشدةِ تكتُّمِه، وأمَّا تفسيرُ الجمهورِ فيحتاجُ إلىٰ حَذْفِ ما يَصِحُّ به المعنىٰ، تقديرُه: وَيَحْلِفُ بالله علىٰ خِلافِ ما في قلبه، لأنَّ الذي في قلبه هو الكفرُ، وهو لا يَحْلِفُ عليه، إنما يَحْلِفُ علىٰ ضدِّه وهو الذي يُعْجِبُ سامعَه»[3].

وشَهِدْتُ يقال على ضربين:

أحدهما: جار مجرىٰ العلم، وبلفظه تقام الشّهادة، ويقال: أَشْهَدُ بكذا، ولا يرضىٰ من الشّاهد أن يقول: أعلم، بل يحتاج أن يقول: أشهد.

والثاني: يجري مجرىٰ القسم، فيقول: أشهد بالله أنّ زيدا منطلق، فيكون قسما، ومنهم من يقول: إن قال: أشهد، ولم يقل: بالله يكون قسما،

---

[1] التحرير والتنوير ٢/ ٢٦٧.

[2] قوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[النور:٨].

[3] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢/ ٣٤٩.

ويجري علمت مجراه في القسم، فيجاب بجواب القسم[١].

وقد جَرَىٰ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الْأُمَّةِ سَلَفِهَا وَخَلَفِهَا فِي أَدَاءِ الشَّهَادَةِ (أَشْهَدُ) مُقْتَصِرِينَ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ تَحْقِيقِ الشَّيْءِ نَحْوَ أَعْلَمُ وَأَتَيَقَّنُ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِأَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَيْضًا، فَكَانَ كَالْإِجْمَاعِ عَلَىٰ تَعْيِينِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَلَا يَخْلُو مِنْ مَعْنَىٰ التَّعَبُّدِ؛ إِذْ لَمْ يُنْقَلْ غَيْرُهُ، وَلَعَلَّ السِّرَّ فِيهِ أَنَّ الشَّهَادَةَ اسْمٌ مِنْ الْمُشَاهَدَةِ وَهِيَ الِاطِّلَاعُ عَلَىٰ الشَّيْءِ عِيَانًا فَاشْتُرِطَ فِي الْأَدَاءِ مَا يُنْبِئُ عَنْ الْمُشَاهَدَةِ، وَأَقْرَبُ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا اُشْتُقَّ مِنْ اللَّفْظِ وَهُوَ (أَشْهَدُ) بِلَفْظِ الْمُضَارِعِ، وَلَا يَجُوزُ (شَهِدْتُ)؛ لِأَنَّ الْمَاضِيَ مَوْضُوعٌ لِلْإِخْبَارِ عَمَّا وَقَعَ نَحْوُ قُمْتُ أَيْ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ الزَّمَانِ، فَلَوْ قَالَ شَهِدْتُ احْتَمَلَ الْإِخْبَارَ عَنْ الْمَاضِي فَيَكُونُ غَيْرَ مُخْبِرٍ بِهِ فِي الْحَالِ، وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ عليه السلام ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١] لِأَنَّهُمْ شَهِدُوا عِنْدَ أَبِيهِمْ أَوَّلًا بِسَرِقَتِهِ حِينَ قَالُوا ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ فَلَمَّا اتَّهَمَهُمْ اعْتَذَرُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا صُنْعَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا وَمَا شَهِدْنَا عِنْدَكَ سَابِقًا بِقَوْلِنَا إنَّ ابْنَكَ سَرَقَ إلَّا بِمَا عَايَنَّاهُ مِنْ إخْرَاجِ الصُّوَاعِ مِنْ رَحْلِهِ وَالْمُضَارِعُ مَوْضُوعٌ لِلْإِخْبَارِ فِي الْحَالِ، فَإِذَا قَالَ أَشْهَدُ فَقَدْ أَخْبَرَ فِي الْحَالِ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَىٰ ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] أَيْ نَحْنُ الْآنَ شَاهِدُونَ بِذَلِكَ، وَأَيْضًا فَقَدْ اُسْتُعْمِلَ (أَشْهَدُ) فِي الْقَسَمِ نَحْوُ أَشْهَدُ بِالله لَقَدْ كَانَ كَذَا ،أَيْ أُقْسِمُ فَتَضَمَّنَ لَفْظُ (أَشْهَدُ) مَعْنَىٰ الْمُشَاهَدَةِ وَالْقَسَمِ وَالْإِخْبَارِ فِي الْحَالِ فَكَأَنَّ الشَّاهِدَ قَالَ أُقْسِمُ بِالله لَقَدْ اطَّلَعْتُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَأَنَا الْآنَ أُخْبِرُ بِهِ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي مَفْقُودَةٌ فِي غَيْرِهِ مِنْ

---

[١] المفردات في غريب القرآن ص٤٦٦ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٣٥١.

الْأَلْفَاظِ فَلِهَذَا اُقْتُصِرَ عَلَيْهِ احْتِيَاطًا وَاتِّبَاعًا لِلْمَأْثُورِ، وَقَوْلُهُمْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَعَدَّىٰ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَىٰ أَعْلَمُ[1].

رابعا: قال القرطبي(ت٦٧١هـ): « وَقِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ؛ لِأَنَّهُ قَوِيَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْتِزَامُ الْكَلَامِ الْحَسَنِ، ثُمَّ ظَهَرَ مِنْ بَاطِنِهِ خِلَافُهُ» [2]، والقراءة الشاذة مرجحة لأحد التفسيرين الواردين في معنىٰ القراءة المتواترة، قال السمين بعد ذكر معنىٰ قراءة الجمهور : « يَطَّلِعُ الله علىٰ ما في قلبه، ويُقَوِّي هذا التأويلَ قراءةُ أبي حيوة؛ إذ معناها: وَيطَّلِعُ الله علىٰ ما في قلبه من الكفر»[3].

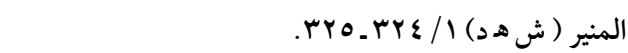

[1] المصباح المنير (ش هـ د) ١/ ٣٢٤ـ ٣٢٥.
[2] الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٥.
[3] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢/ ٣٤٩.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾[آل عمران:٧٥]

اتخذ السهيلي من القراءات الواردة في الآية الكريمة نظيرا لغويا لشاهد شعري ورد في السيرة النبوية، ثم وجّه القراءات الواردة في هاء الكناية مقدما مناقشة علمية لبعض الأسئلة اللغوية التي تتصل بهاء الكناية، و"هاء الكناية في عرف القراء عبارة عن هاء الضمير التي يكنىٰ بها عن الواحد المذكر الغائب، وحقها الضم، إلا أن يقع قبلها كسر أو ياء ساكنة فحينئذ تكسر، ويجوز الضم كما قرئ به في: ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾[طه:١٠]، [القصص:٢٩]، ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ [الكهف:٦٣]، ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] [1]، والخلاف بين في هاء الكناية في صلتها بواو إن كانت مضمومة وبياء إن كانت مكسورة، وفي تحريكها بذلك من غير صلة ويسمىٰ قصرا، وفي إسكانها في مواضع مخصوصة "[2].

قال السهيلي:

«حَذْفُ الْيَاءِ مِنْ هَاءِ الْكِنَايَةِ:

.....*** بِأَمنِهِ حَتّىٰ خَاضَت الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ

ضَرُورَةٌ، كَمَا أَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ:

سَأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا

فِي أَبْيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَنْشَدَهَا سِيبَوَيْهِ، وَهَذَا مَعَ حَذْفِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ، وَبَقَاءِ حَرَكَةِ الْهَاءِ، فَإِنْ سُكِّنَتْ الْهَاءُ بَعْدَ الْحَذْفِ، فَهُوَ أَقَلّ فِي الِاسْتِعْمَالِ مِنْ نَحْوِ

---

[1] ضَمَّ الْهَاءَ مِنْ ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ حَمْزَةُ، وَكَسَرَهَا الْبَاقُونَ ، وروىٰ حفص ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ و ﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ بضم الهاء، والباقون بالكسر (تقريب النشر ١/ ٢٤٣).

[2] إبراز المعاني من حرز الأماني ص١٠٣ .

هَذَا، وَأَنْشَدُوا:

وَمِطْوايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أَرِقَانِ

وَهَذَا الّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ فِي الْقِيَاسِ أَقْوَىٰ؛ لِأَنّهُ مِنْ بَابِ حَمْلِ الْوَصْلِ عَلَىٰ الْوَقْفِ نَحْوَ قَوْلِ الرّاجِزِ:

لَمّا رَأَىٰ أَنْ لَا دَعَهْ وَلَا شِبَعْ

وَمِنْهُ فِي التّنْزِيلِ كَثِيرٌ نَحْوَ إثْبَاتِ هَاءِ السّكْتِ فِي الْوَصْلِ، وَإِثْبَاتِ الْأَلِفِ مِنْ ﴿أَنَا﴾، وَإِثْبَاتِ أَلِفِ الْفَوَاصِلِ نَحْوَ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠]. وَهَذَا الّذِي ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ مِنْ الضّرُورَةِ فِي هَاءِ الْإِضْمَارِ إنّمَا هُوَ إذَا تَحَرّكَ مَا قَبْلَهَا نَحْوَ:(بِهِ وَلَهُ)، وَلَا يَكُونُ فِي هَاءِ الْمُؤَنّثِ الْبَتّةَ لِخَفّةِ الْأَلِفِ، فَإِنْ سَكَنَ مَا قَبْلَ الْهَاءِ نَحْوَ: ﴿فِيهِ﴾[البقرة:٢] وَ﴿بَنِيهِ﴾ [البقرة:١٣٢] كَانَ الحذف أحسن من الإثبات.

فإن قلت: فَقَدْ قَرَأَ عِيسَىٰ بْنُ مِينَا[1]: (نُصْلِهِ وَيُؤَدّهِ وأرجه) ونحو ذلك في اثني عشر موضعا بحذف الياء، وقبل الْهَاءُ مُتَحَرّكٌ، فَكَيْفَ حَسُنَ هَذَا؟

قُلْنَا: إنّ مَا قَبْلَ الْهَاءِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ سَاكِنٌ، وَهُوَ الْيَاءُ مِنْ (نُصْلِيه وَيُؤَدّيه وَيُؤْتِيه)، وَلَكِنّهُ حُذِفَ لِلْجَازِمِ، فَمَنْ نَظَرَ إلَىٰ اللّفْظِ، وَأَنّ مَا قَبْلَ الْهَاءِ مُتَحَرّكٌ أَثْبَتَ الْيَاءَ كَمَا أَثْبَتَهَا فِي:(بِهِ وَلَهُ)، وَمَنْ نَظَرَ إلَىٰ الْكَلِمَةِ قَبْلَ دُخُولِ الْجَازِمِ، رَأَىٰ مَا قَبْلَ الْهَاءِ سَاكِنًا، فَحَذَفَ الْيَاءَ، فَهُمَا وَجْهَانِ حَسَنَانِ، بِخِلَافِ مَا تَقَدّمَ مِنْ شَرْحِ قَصِيدَةِ حُذَيْفَةَ» [2]

---

[1] مُقْرِئُ المَدِيْنَةِ، وَتِلْمِيْذُ نَافِعٍ، الإِمَامُ، المُجَوِّدُ، النَّحْوِيُّ، أَبُو مُوْسَى عِيْسَى بنُ مِيْنَا، مَوْلَى بَنِي زُرَيْقٍ. يُقَال: كَانَ رَبِيْبَ نَافِعٍ، فَلَقَّبَهُ بِقَالُوْنَ؛ لِجَوْدَةِ قِرَاءَتِهِ، رَوَى عَنْ: شَيْخِهِ.... مَاتَ سَنَةَ عِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ، عَنْ نَيِّفٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢٦).

[2] الروض الأنف٢/ ٢٠٦.

١ ـ يرىٰ السهيلي أن حذف الياء من هاء الكناية وبقاء الكسرة في قول حُذَيْفَة بْن غَانِمٍ ضرورة شعرية، واستشهد علىٰ ذلك ببيت من أبيات الكتاب لسيبويه، حيث قال:" وكما قال مالك بن خُرَيْم الهمْداني:

فـإنْ يَـكُ غَثّـا أو سَـمينـًا فـإنّني سأَجْعَلُ عينَيْه لنفسهِ مَقنْعَـاَ" [1]

والشاهد فيه أنه حذف الياء التي هي صلة الضمير المجرور الذي أضيفت إليه النفس [2]، وإنما اختلس كسرة الهاء اختلاسًا، ولم يمطلها حتىٰ تنشأ عنها ياء، وذلك مما يقع في الشعر.

٢ ـ إِنْ سُكّنَتْ الْهَاءُ بَعْدَ الْحَذْفِ، فَهُوَ أَقَلّ فِي الِاسْتِعْمَالِ، وأقوىٰ في القياس، **وخرّجه** علىٰ حمل الوصل علىٰ الوقف، ونظَّر له بالقرآن الكريم والشعر العربي، وحملُ الوصل علىٰ الوقف أحد أقوال أربعة للعلماء في توجيه إسكان هاء الكناية وصلا، بل أحسنها، قال السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ):" فأما قراءة أبي عمرو ومن ذُكِر معه **فقد خَرَّجوها** علىٰ أوجه، أحسنها أنه سُكِّنت هاءُ الضمير إجراءً للوصل مُجْرىٰ الوقف، وهو باب واسع ... نحو: ﴿يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ﴿أَنَا أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] "[3]، وقال رضي الدين الإستراباذي (٦٨٦هـ): "

---

[1] الكتاب لسيبويه ١/ ٢٨. يقول: إنه يقدم لضيفه ما عنده من القرىٰ، ويحكمه فيه ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه فيقتنع بذلك. والشاهد: لمالك بن خزيم الهمداني، وقيل: هو مالك بن حريم بالحاء المهملة. (وانظر: الأصول في النحو ٣/ ٤٥٩ والمقتضب١/ ٣٨ والكامل/ ٢٥٠ وشرح السيرافي ١/ ٢٢٦ والخزانة ١/ ٢٨٨).

[2] شرح أبيات سيبويه: أبو محمد السيرافي ١/ ١٦٧.

[3] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٣/ ٢٦٢.

وجاز إسكان الهاء، إجراء للوصل مجرىٰ الوقف" [١] .

وقد اختلفت رؤىٰ اللغويين حول مسألة إجراء الوصل مجرىٰ الوقف، فمنهم من يرىٰ أنه " خلاف الأصل " [٢] ، و" ليس بقوي في اللغة " [٣]، بل هو " شيء عزيز نادر حتىٰ قالوا : إنه يجوز في ضرورة الشعر"[٤]. إلا أن الكثير من اللغويين يرىٰ أن " إجراء الوقف مجرىٰ الوصل، والوصل مجرىٰ الوقف موجود في كلامهم " [٥]، " وارد في الكلام الفصيح " [٦]، " ولا يختص بحال الضرورة [٧]، والقول بأنه ضعيف غير مسلم، ولئن سلم فغير ناهض، لأنه قوي فيما المطلوب منه الخفة كـ " ثلاثةْ أربعة " [٨]، وقد وردت به القراءات القرآنية متواترها وشاذها، كما ورد في كلام العرب شعراً ونثراً[٩].

ـ ونظيره من الشعر قول ابن حبة الأسدي:

لَمَّـا رأَىٰ أنْ لا دَعَـهْ وَلا شِـبَعْ مَـالَ إلَـىٰ أَرْطَـاةِ حِقْـفٍ فَاضْـطَجَعْ[١٠].

---

[١] شرح الرضي علىٰ الكافية لابن الحاجب ٢/ ٤٢٢ .

[٢] اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٩٧.

[٣] روح المعاني للألوسي ٣/ ٧٤.

[٤] جواهر القرآن للباقولي ٣/ ٨٤١.

[٥] البحر المحيط ٣/ ٥٣.

[٦] التحرير والتنوير ٦/ ٢٠٩.

[٧] المفصل للزمخشري ٤٨٠ .

[٨] روح المعاني ٣/ ٧٤.

[٩] أثر القراءات في تنوع أحكام الوقف القرآني، دراسة صوتية: مصطفىٰ أحمد إسماعيل (رسالة دكتوراه) ص٤١٤ .

[١٠] الرجز لمنظور بن حبة الأسدي في معاني القرآن للفراء ١ : ٣٨٨، وإصلاح المنطق: ١٠٨، وجامع البيان للطبري ١٣/ ٢١ " ويروى أيضًا: فاطجع، ويروى أيضًا: =

وقول يعلىٰ بن الأحول:

فَبتَّ لَدَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أخِيلَهُ وَمِطْوايَ مُشْتَاقَانِ لَهْ أرِقَانِ[1]

الثاني: ـ أنها لغة من اللغات الصحيحة، قَالَ الْفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ): مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَجْزِمُ الْهَاءَ إِذَا تَحَرَّكَ مَا قَبْلَهَا، فَيَقُولُ: ضَرَبْتُهْ ضَرْبًا شَدِيدًا كَمَا

=فاضجع"(سر صناعة الإعراب ٢/ ٥)، قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: وَصَفَ ظبيا، لَمَّا رأَى الذِّئْبُ أَنه لا دَعَةَ لَهُ وَلا شِبَعَ لِكَوْنِهِ لا يَصِلُ إِلى الظَّبْيِ فيأْكله مَالَ إِلى أَرْطاةِ حِقْفٍ والأَرطاة: وَاحِدَةُ الأَرْطَى، وَهُوَ شَجَرٌ يُدْبَغُ بِوَرَقِهِ. والحِقْفُ: المُعْوَجُّ مِنَ الرَّمْلِ، وَجَمْعُهُ أَحقاف وحُقُوفٌ (لسان العرب: أ ب ز)، والدعة: الخفض والطمأنينة، ولين العيش، أو العيش السهل الطيب، والشبع: الامتلاء من الطعام، ويقال: شبع من الأمر إذا سئمه، فالطجع: أي وضع جنبه على الأرض ونحوها.

[1] البيت من الطويل للأَحول يعلى بن مُسلم بن أبي قيس أحد بني يشْكر بن عَمْرو شَاعِر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية وَكَانَ أَحول وَكَانَ خليعا يجمع الصعاليك الأزد وخلعاءهم فيغير بهم على أَحيَاء الْعَرَب وَيقطع الطَّرِيق ، فَشَكا النَّاس أمره إِلَى نَافِع بن عَلْقَمَة وَالِي مَكَّة وَهُوَ خَال مَرْوَان بن الحكم فَلم يزل يراصده إِلَى أَن أُتِي بِهِ فقيده وحبسه فَقَالَ فِي محبسه.(الوافي بالوفيات ٢٩/ ١٧) ، وأخيله، يقال: أخلت السحابة إذا رآها، أخالت، أي كانت مرجوزة للمطر والهاء في أخيلة، وله، عائدة على البرق. أما على رواية: أشيمة، انظر إليه أين يقصد وأين يمطر، وأما أريغه: أي أطلبه. ومطواي، صاحباي (وانظر: الخصائص ١/ ١٢٨ والمقتضب ١/ ٣٩ والحجة لابي علي ١/ ١٠٠ وشرح السيرافي ١/ ٢٢٦ والمحتسب ١/ ٢٢٤)، ومِطْو الرجل: نَظِيره أَو صديقه لُغَة سَرَوِيّة.(جمهرة اللغة ٢/ ٩٢٧).

وَقَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: هُوَ لِرَجُلٍ مِنْ أَزْد السَّراة يَصِفُ بَرْقًا، وَذَكَرَ الأَصبهاني أَنه لِيَعْلَى بْنِ الأَحول ... ، وَمَعْنَى أُخِيله أَنظر إِلى مَخِيلته، والهاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الْبَرْقِ فِي بَيْتٍ قَبْلَهُ، وَهُوَ:

أرِقْتُ لِبَرْقٍ دُونَه شَرَوانِ يَمانٍ، وأَهْوَىٰ البَرْقَ كلّ يَمانِ

(لسان العرب: م ط و).

يُسَكِّنُونَ (مِيمَ) أَنْتُمْ وَقُمْتُمْ وَأَصْلُهَا الرَّفْعُ[1]، وذكر السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)" أن تسكينَ هاء الكناية لغة ثابتة" [2].

قَالَ ابْن جني(ت٣٩٢هـ) معقبا علىٰ بيت يعلىٰ بن الأحول:" فهاتان لغتان: أعني إثبات الواو في (أخيلهو) وتسكين الهاء في قوله (له)، لأن أبا الحسن(ت٢١٥هـ) زعم أنها لغة لأزد السراة، وإذا كان كذلك فهما لغتان. وليس إسكان الهاء في "له " عن حذف لحق بالصنعة الكلمةَ لكن ذاك لغة. ومثله ما رويناه عن قطرب(ت٢٠٦هـ):

وأَشْـرَبُ الْمَـاءَ مَـا بِـي نَحْـوَهُ إلاَّ لأَنَّ عُيُونَـهْ سَـيْلُ وَادِيهَـا[3]

فقال: (نحو هو) بالواو، وقال (عيونه) ساكن الهاء" [4].

وقال أبو شامة(ت٦٦٥هـ):" وإسكان هاء الكناية لغة محكية سواء اتصلت بمجزوم أو غيره ... ووجه الإسكان تشبيه هاء الضمير بألفه وواوه ويائه فأسكنت، أو استثقلت صلتها فأسكنت كما فعل في ميم الجميع، أو وصلت بنية الوقف، وهذه الوجوه الثلاثة تعم المجزوم وغيره. وفي المجزوم وجهان آخران:

أحدهما: أنها سكنت تنبيها علىٰ الحرف المحذوف قبلها للجزم.

والثاني: أنها سكنت لحلولها محله[5] .

---

[1] الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٩٥ ومفاتيح الغيب للرازي ٨/ ٢٦٣ والدر المصون ٣/ ٢٦٣

[2] الدر المصون ٥/ ٤١٢.

[3] البيت من البسيط دون نسبة في المحتسب ١/ ٢٤٤.

[4] الخصائص ١/ ٣٧٢ والمحكم والمحيط الأعظم ٤/ ٢٤٦.

[5] إبراز المعاني ص١٠٧.

الثالث: حمل إسكان الهاء وصلا على الضرورة، قال المبرد(ت٢٨٥هـ):" وَقد اضطرّ الشَّاعِر ... فَحذف الْحَرَكَة مَعَ الْحَرْف، وَكَانَ ذَلِك جَائِزا لأَنَّها زِيَادَة" [١]، وهذا الكلام يتنزل على الشعر ولا يتنزل على القرآن الكريم؛ لأنه لا ضرورة في القرآن الكريم

الرابع: ـ قال الزجاج (ت٣١١هـ):" ومن قرأ بحذف الواو وإثبَاتِ الضمةِ فذلك مثل حذف الياء وإثبات الكسرة، ومَنْ أَسْكَنَ الهاءَ فغالط، لأن الهاء ليست بمجزومة..." [٢] .

وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ أَنَّ الْإِسْكَانَ غَلَطٌ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ إِذْ هِيَ قِرَاءَةٌ فِي السَّبْعَةِ، وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ، وَكَفَى أَنَّهَا مَنْقُولَةٌ مِنْ إِمَامِ الْبَصْرِيِّينَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ. فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ، وَسَامِعُ لُغَةٍ، وَإِمَامٌ فِي النَّحْوِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَذْهَبَ عَنْهُ جَوَازُ مِثْلِ هَذَا. وَقَدْ أَجَازَ ذَلِكَ الْفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ) وَهُوَ إِمَامٌ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ. وَحَكَى ذَلِكَ لُغَةً لِبَعْضِ الْعَرَبِ تَجْزِمُ فِي الْوَصْلِ وَالْقَطْعِ. وَقَدْ رَوَى الْكِسَائِيُّ(ت١٨٩هـ) أَنَّ لُغَةَ عَقِيلٍ وَكِلَابٍ: أَنَّهُمْ يَخْتَلِسُونَ الْحَرَكَةَ فِي هَذِهِ الْهَاءِ إِذَا كَانَتْ بَعْدَ مُتَحَرِّكٍ، وَأَنَّهُمْ يُسَكِّنُونَ أَيْضًا. قَالَ الْكِسَائِيُّ: سَمِعْتُ أَعْرَابَ عقيل وكلاب يَقُولُونَ: ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[العاديات:٦] بِالْجَزْمِ، وَ: لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، بِغَيْرِ تَمَامٍ، وَلَهُ مَالٌ، وَغَيْرُ عَقِيلٍ وَكِلَابٍ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِهِمُ اخْتِلَاسٌ وَلَا سُكُونٌ فِي: لَهُ وَشَبَهِهِ، إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ [٣] .

٣ ـ قدم تعليلا صوتيا لعدم الحذف في هاء المؤنث يتمثل في خفة الألف.

٤ ـ إِنْ سَكَنَ مَا قَبْلَ الْهَاءِ نَحْوَ: ﴿فِيهِ﴾ [البقرة:٢] وَ﴿بَنِيهِ﴾ [البقرة:١٣٢] كَانَ الحذف أحسن من الإثبات، وهذا ما عليه القراءات

---

[١] المقتضب ١/ ٢٦٧.

[٢] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١١٧.

[٣] البحر المحيط ٣/ ٢٢١.

المتواترة عدا قراءة ابن كثير المكي حيث قرأ بالصلة، و" من قرأ بالصلة فعلى الأصل، والأكثر على ترك الصلة تخفيفا"[1] .

٥ ـ وجّه قراءة اختلاس الهاء بعد متحرك، مقتصرا في عزو هذا الأداء لقالون، ولعل ذلك يرجع إلى أن قراءة نافع كانت هي القراءة المنتشرة في القطر الأندلسي في عصر السهيلي، والكلمات المختلف فيها من حيث الإسكان والاختلاس والصلة وردت في اثنتي عشرة كلمة " فِي عِشْرِينَ مَوْضِعًا هي: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾[آل عمران:٧٥] ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران:١٤٥] ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الشورى:٢٠] ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء:١١٥]، ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾[طه:٧٥]، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ [النور:٥٢]، وَ ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل:٢٨]، ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، وَ﴿أَلَمْ يَرَهُۥٓ﴾ [البلد:٧]، ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧] ﴿شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٨] ﴿أَرْجِهْ﴾ [الأعراف:١١١] [الشعراء:٣٦] ﴿بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣٧] [البقرة:٢٤٩] [المؤمنون:٨٨] [يس:٨٣] ﴿تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ [يوسف:٣٧] "[2]،ووجه لغة القصر في المجزوم النظر إلى الحرف المحذوف قبل الهاء للجزم؛ لأن حذفه عارض ولو كان موجودًا لم توصل الهاء لوجود الساكن قبلها على ما تقرر، فهذا توجيه حسن؛ لما جاءت القراءة به من القصر في المجزوم، .... ووجه الصلة تحرك الحرف الذي قبل الهاء ولا نظر إلى الحرف المحذوف [3]

[1] إبراز المعاني ص١٠٦ .
[2] النشر في القراءات العشر ١/ ٣٠٥.
[3] إبراز المعاني ص١٠٩ .

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[آل عمران:١٦١]

قال السهيلي:

«وَذَكَرَ[١] قَوْلَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ﴾[آل عمران:١٦١] وَفَسّرَهُ أَنْ يَكْتُمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسّرِينَ يَقُولُونَ: نَزَلَتْ فِي الْغُلُولِ، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ أَنّهُمْ فَقَدُوا قَطِيفَةً مِنْ الْمَغْنَمِ، فَقَالَ قَائِلٌ: لَعَلّ النّبِيّ ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ، وَمَنْ قَرَأَ﴿يُغَلّ﴾ بضم الياء وفتح الغين فمعناه أن يلقى غَالّا، تَقُولُ: أَجْبَنْت الرّجُلَ إذَا أَلْفَيْته جَبَانًا، وَكَذَلِكَ أَغْلَلْته: إذَا وَجَدْته غَالّا، وَقَدْ قَالَ عمرو بن معد يكرب لِبَنِي سُلَيْمٍ: قَاتَلْنَاكُمْ، فَمَا أَجْبَنّاكُمْ، وَسَأَلْنَاكُمْ فَمَا أَبْخَلْنَاكُمْ. وَتَفْسِيرُ ابْنِ إسْحَاقَ غَيْرُ خَارِجٍ عَنْ مُقْتَضَى اللّغَةِ. فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَلّ، أَيْ: سَتَرَ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ وَأَخَذَهُ خُفْيَةً، فَقَدْ سَتَرَهُ وَكَتَمَهُ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ: السّتْرُ وَالْإِخْفَاءُ، وَمِنْهُ الْغِلَالَةُ وَالْغَلَلُ لِلْمَاءِ الّذِي يُغَطّيهِ الشّجَرُ وَالنّبَاتُ، وَقَدْ أَمَرَ النّبِيّ ﷺ فِي بَعْضِ الْمَغَازِي بِإِحْرَاقِ مَتَاعِ الْغَالّ، وَأَخَذَتْ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ »[٢].

ذكر السهيلي قراءتين متواترتين في الآية الكريمة، حيث: «قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ﴿يَغُلَّ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْغَيْنِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ

---

[١] أي: ابْن إسْحَاقَ .

[٢] الروض الأنف٦/ ٨٧.

وَفَتْحِ الْغَيْنِ»[1].

وذكر في دلالة قراءة البناء للفاعل قولين:

أولهما: قول ابن إسحاق حيث فسر الغلول بكتمان ما أنزل الله ﷻ.

وثانيهما: قول جمهور المفسرين وهو من الغلول، بمعنى الخيانة في الغنيمة وغيرها، وحكى سياقا خارجيا يؤيد ما ذكره جمهور المفسرين، ثم ذكر في توجيه قراءة البناء للمفعول وجها واحدا وهو أن يُوجد غالا،" أَيْ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ أَنْ يُوجَدَ غَالًّا، أَوْ بِمَعْنَى نِسْبَتِهِ إِلَى الْغُلُولِ ؛ أَيْ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ مُتَّهَمًا بِالْغُلُولِ"[2].

قال أبو حيان (ت٧٤٥هـ):" ﴿أَن يَغُلَّ﴾ مِنْ غَلَّ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ مِنْهُ، لِأَنَّ الْغُلُولَ مَعْصِيَةٌ، وَالنَّبِيﷺ مَعْصُومٌ مِنَ الْمَعَاصِي، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَهَذَا النَّفْيُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَوَهَّمَ فِيهِ ذَلِكَ، وَلَا أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. .. و﴿أَنْ يُغَلَّ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْغَيْنِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ.

ـ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ مِنْ غَلَّ. وَالْمَعْنَى: لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخُونَهُ فِي الْغَنِيمَةِ، فَهِيَ نَهْيٌ لِلنَّاسِ عَنِ الْغُلُولِ فِي الْمَغَانِمِ، وَخُصَّ النبي ﷺ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَرَامًا مَعَ غَيْرِهِ، لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ أشنع لما يجب مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ، كَالْمَعْصِيَةِ بِالْمَكَانِ الشَّرِيفِ، وَالْيَوْمِ الْمُعَظَّمِ.

ـ وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَغَلَّ رُبَاعِيًّا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُوجَدُ غَالًّا كَمَا تَقُولُ: أَحْمَدَ الرَّجُلُ وَجَدَ مَحْمُودًا.

ـ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ (ت٣٧٧هـ): هُوَ مِنْ أَغَلَّ أَيْ نُسِبَ إِلَى

---

[1] النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٤٣.

[2] تفسير المنار ٤/ ١٧٦.

الْغُلُولِ، وَقِيلَ لَهُ: غَلَلْتَ كَقَوْلِهِمْ: أَكْفَرَ الرَّجُلُ، نُسِبَ إِلَى الْكُفْرِ"[١].

ـ وقيل: ﴿أَنْ يُغَلَّ﴾ من الغلول، بمعنى الخيانة في الغنيمة وغيرها، وقراءة ﴿أَن يَغُلَّ﴾ من غل يغل، وهو من الغل، بمعنى الحسد والحقد[٢].

وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ): « ﴿أَن يَغُلَّ﴾ تبشيعًا لفعل ما يؤدي إلى هذا الاحتمال زجراً من معاودة مثل ذلك الفعل المؤدي إلى تجويز شيء مما ذكر، **وعلى قراءة الجماعة** غير ابن كثير وأبي عمرو - بضم الياء وفتح العين مجهولاً من: أغل - المعنى: وما كان له وما صح أن يوجد غالاً، أو ينسب إلى الغلول، أو يظن به ما يؤدي إلى ذلك؛ ويجوز أن يكون التقدير بعد الأمر بالتوكل على الله ﷻ وحده: فلا تأتوا إن كنتم مؤمنين بما يقدح في التوكل كالغلول وما يدانيه فتخذلوا، فإنه ما كان لكم أن تغلوا، وما كان أي ما حل لنبي أي من الأنبياء قط أن يغل، أي لم أخصكم بهذه الشريعة بل ما كان في شرع نبي قط إباحة الغلول، فلا تفعلوه ولا تقاربوه بنحو الاستباق إلى النهب، فإن ذلك يسلب كمال التوكل، فإنه من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه، فيوجب له الخذلان»[٣].

وقد أصَّل السهيلي لقول ابن إسحاق في دلالة قراءة البناء للفاعل على كتم الوحي، و:" أَنَّ الْغُلَّ أَوِ الْغُلُولَ الْمَنْفِيَّ هُنَا هُوَ إِخْفَاءُ شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ وَكِتْمَانُهُ عَنِ النَّاسِ لَا الْخِيَانَةُ فِي الْمَغْنَمِ، وَإِنْ كَانَ مَا يَعُدُّهُ عَامًّا فِي كُلِّ غُلُولٍ أَوْ خَاصًّا بِالْغَنِيمَةِ، فَإِنَّهُ جِيءَ بِهِ لِلْمُنَاسَبَةِ كَمَا عُهِدَ فِي مُنَاسَبَاتِ الْقُرْآنِ، وَانْتِقَالُهُ مِنْ حُكْمٍ إِلَى حُكْمٍ أَوْ خَبَرٍ لَهُ حِكْمَةٌ. وَذَكَرُوا أَنَّهُ نَزَلَ رَدًّا

---

[١] البحر المحيط ٣/ ٤١٢.

[٢] تفسير ابن عرفة ١/ ٤٣٨.

[٣] نظم الدرر ٥/ ١١١.

عَلَى مَنْ رَغِبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتْرُكَ النَّعْيَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ"[1]، ويؤيد صحة هذا القول ما يأتي:

١ ـ التأصيل اللغوي لمادة (غ ل ل): « فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَلّ، أَيْ: سَتَرَ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ وَأَخَذَهُ خُفْيَةً، فَقَدْ سَتَرَهُ وَكَتَمَهُ » [2]، وَأَصْلُ الْغُلِّ: الْأَخْذُ بِخُفْيَةٍ كَالسَّرِقَةِ، وَغَلَبَ فِي السَّرِقَةِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ، وَتُسَمَّى غُلُولًا، قَالَ الرُّمَّانِيُّ(٢٩٦ – ٣٨٤هـ) وَغَيْرُهُ: أَصْلُ الْغُلُولِ مِنَ الْغَلَلِ وَهُوَ دُخُولُ الْمَاءِ فِي خَلَلِ الشَّجَرِ، وَسُمِّيَتِ الْخِيَانَةُ غُلُولًا؛ لِأَنَّهَا تَجْرِي فِي الْمُلْكِ عَلَى خَفَاءٍ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي يَحِلُّ، وَمِنْ ذَلِكَ الْغِلُّ: لِلْحِقْدِ، وَالْغَلِيلُ: لِحَرَارَةِ الْعَطَشِ، وَالْغِلَالَةُ: لِلشِّعَارِ. ... وَتَغَلْغَلَ فِي الشَّيْءِ دَخَلَ فِيهِ وَاخْتَفَى فِي بَاطِنِهِ[3]، وقال ابن فارس(ت٣٩٥هـ) : « الْغَيْنُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَخَلُّلِ شَيْءٍ، وَثَبَاتِ شَيْءٍ، كَالشَّيْءِ يُغْرَزُ.... وَمِنْهُ الْغُلُولُ فِي الْغُنْمِ، وَهُوَ أَنْ يُخْفَى الشَّيْءُ فَلَا يُرَدُّ إِلَى الْقَسْمِ، كَأَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ غَلَّهُ بَيْنَ ثِيَابِهِ، وَمِنَ الْبَابِ الْغِلُّ، وَهُوَ الضِّغْنُ يَنْغَلُّ فِي الصَّدْرِ» [4].

٢ ـ السياق السابق: فمِنْ مُنَاسَبَةِ كَوْنِ الْغُلِّ بِمَعْنَى الْكِتْمَانِ وَإِخْفَاءِ بَعْضِ التَّنْزِيلِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ – تَعَالَى – نَبِيَّهُ ﷺ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ بِمُعَاتَبَةِ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي أُحُدٍ وَتَوْبِيخِهِمْ عَلَى مَا قَصَّرُوا، وَذَلِكَ مِمَّا يَصْعُبُ تَبْلِيغُهُ عَادَةً ؛ لِأَنَّهُ يَشُقُّ عَلَى الْمُبَلِّغِ وَالْمُبَلَّغِ، وَمِنْ أَمْرِهِ ﷺ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَمُشَاوَرَتِهِمْ فِي الْأَمْرِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، وَفِي هَذَا إِعْلَاءٌ لِشَأْنِهِمْ وَمُعَامَلَةٌ

---

[1] تفسير المنار ٤/ ١٧٦.

[2] الروض الأنف٦/ ٨٧.

[3] تفسير المنار ٤/ ١٧٦ وينظر: النكت والعيون للماوردي ١/ ٤٣٤.

[4] مقاييس اللغة (غ ل ل) ٤/ ٣٧٥.

لَهُمْ بِالْمُسَاوَاةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الشُّئُونِ، وَذَلِكَ مِمَّا عَهِدَ الْبَشَرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الرَّئِيسِ مِنْهُمْ إِبْلَاغُهُ لِلْمَرْؤوسِينَ، اقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[آل عمران١٥٥ :١٥٦].

٣ـ مَا تَقَدَّمَ فِي هَذَا السِّيَاقِ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ لَهُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨] عِنْدَمَا لَعَنَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ رُءُوسِ الْمُشْرِكِينَ، كَأَنَّهُ ، يَقُولُ إِعْلَامًا لِلنَّاسِ بِمَا يَجِبُ لِلْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام فِي أَمْرِ التَّبْلِيغِ: مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِمَّا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّاسِ فِي حُكْمِ الْعَادَةِ ذِكْرُهُ وَتَبْلِيغُهُ[1].

ويشهد للقول الثاني سياق الموقف، فعن مِقْسَمٍ مَوْلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: " نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] فِي قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ، فُقِدَتْ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: بَعْضُ النَّاسِ لَعَلَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «يَغُلَّ مَفْتُوحَةُ الْيَاءِ»[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «جَيْشًا فَرُدَّتْ رَايَتُهُ، ثُمَّ بَعَثَ فَرُدَّتْ بِغُلُولِ رَأْسِ غَزَالٍ مِنْ ذَهَبٍ» فَنَزَلَتْ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١][3].

---

[1] تفسير المنار ٤/ ١٧٦.

[2] سنن أبي داود (٤/ ٣١/ ٣٩٧١).

[3] المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ١٣٤/ ١٢٦٨٤) وقال الهيثمي في مجمع

ولا يمنع أن يحمل اللفظ الكريم هذه الدلالات المتنوعة، ويؤيد كل معنى روافد لغوية متنوعة، فهذا وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو اصطفاء لفظ يحمل دلالات مختلفة مع عدم التعارض بينها.

ولعل سياق الموقف يشير إلى خصوص ما حدث في الغزوة من مسألة القطيفة، والسياق السابق واللاحق يشير إلى عموم رسالة النبي ﷺ

ويبقى أن أشير إلى أمور تتصل بهذا الأسلوب اللغوي:

الأول: ـ اختار أبو عبيد(ت٢٢٤هـ) وأبو علي(ت٣٧٧هـ) قراءة البناء للفاعل، وقالا: أكثر ما يجيء الفعل بعد "ما كان لكذا أن يفعل" منسوبا إلى الفاعل[1]، نحو: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ﴾ [آل عمران:٧٩]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ [آل عمران:١٤٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣]، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾[الأنفال:٦٧] ،﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٧]، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٠٠]، ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف:٣٨]، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:٣٨] [غافر:٧٨]، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:١١]، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ [مريم:٣٥]، ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان:١٨]، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل:٦٠]، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣]، ﴿وَمَا

=الزوائد(٦/ ٣٢٨/ ١٠٩٠٥): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

[1] إبراز المعاني ص٤٠١.

كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى:٥١].

وَقَالَ ابنُ بَرِّي(٤٩٩ - ٥٨٢هـ): قَلَّ أَن تَجِدَ فِي كلامِ العربِ "مَا كَانَ لفلانٍ أَن يُضرَبَ "على أَن يكونَ الفِعلُ مَبْنِيًّا للمَفْعول، وإِنّما تجدُه مبنيًّا للْفَاعِل، كقولِك: مَا كَانَ لمؤمنٍ أَن يَكْذِبَ، وَمَا كَانَ لنبيٍّ أَن يَخون، وَمَا كَانَ لمُحْرِمٍ أَن يَلْبِسَ [1].

نعم هذه لغة القرآن الكريم إلا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[يونس:٣٧] قال الفراء(ت٢٠٧هـ): ومعنى الآية: ما كَانَ ينبغي لمثل هَذَا القرآن أن يُفترى، وهو فِي معنى: ما كَانَ هَذَا القرآن ليفتري، ومثله ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾[التوبة:١٢٢] أي ما كان ينبغي لَهُم أن ينفروا لأنهم قد كانوا نَفَروا كافة، فدلّ المعنى عَلَى أَنَّهُ لا ينبغي لَهُم أن يفعلوا مرة أخرى[2]، وقال ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ): يجوز أن تكون «أن» مع «يفترى» مصدراً، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً. ويجوز أن تكون «كان» تامة، فيكون المعنى: ما نزل هذا القرآن، وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى، وبأن يفترى، فتُنْصَب «أن» بفقد الخافض في قول الفراء، وقال ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ): معنى ﴿أَن يُفْتَرَىٰ ﴾أي: يضاف إِلى غير الله، أو يُختَلق [3].

الثاني: هَذَا التَّعْبِيرُ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَا صَحَّ وَلَا اسْتَقَامَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ؛ أَيْ يَخُونَ فِي الْمَغْنَم، فنَفْي الشَّأْنِ أَبْلَغُ مِنْ نَفْي الْفِعْلِ ؛ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ دَعْوَى بِدَلِيلٍ، كَأَنَّهُ يَقُولُ هُنَا: إِنَّ النَّبِيَّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا مِمَّا يَقَعُ مِنْهُمْ أَوْ يَجُوزُ

---

[1] تاج العروس (غ ل ل).

[2] معاني القرآن (١/ ٤٦٤).

[3] زاد المسير (٢/ ٣٣١) وينظر: مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٥٢).

عَلَيْهِمْ[1].

الثالث: عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " أَنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ﴾ وَيَقُولُ: كَيْفَ لَا يَكُونُ لَهُ أَنْ يُغَلَّ وَقَدْ كَانَ لَهُ أَنْ يُقْتَلَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢] وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ اتَّهَمُوا النَّبِيَّ ^ فِي شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] [2].

وأقول: لعل هذا الذي قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- كان قبل علمه بأن القراءة الأخرى منقولة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بالسند الصحيح، ويؤيد ذلك:

١- ثابت أن أبا عمرو البصري قرأ على كثير من القراء العشرة منهم أبو جعفر يزيد ابن القعقاع [3]، وأبو جعفر يقرأ بالبناء للمفعول.

٢- عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما- ثابت في إسناده كثير من القراء العشرة، ومنهم من كان يقرأ بالبناء للمفعول.

---

[1] تفسير المنار ٤/ ١٧٦.

[2] المعجم الصغير للطبراني(٢/ ٧٣/ ٨٠٣)

[3] غاية النهاية ١/ ٢٨٩

الموضع الرابع:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[النساء:٩٤]

قال السهيلي:

« قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ... عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ، قَالَ بَعَثَنَا رسول الله ﷺ إلى إِضَمَ[1] فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيّ وَمُحَلّمُ بْنُ جَثّامَةَ بْنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنَا حَتّى إذَا كُنّا بِبَطْنِ إِضَمَ، مَرّ بِنّا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيّ، عَلَى قَعُودٍ لَهُ، وَمَعَهُ مُتَيّعٌ لَهُ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ. قَالَ: فَلَمّا مَرّ بِنَا سَلّمَ عَلَيْنَا بِتَحِيّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلّمُ بْنُ جَثّامَةَ، فَقَتَلَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَأَخَذَ مُتَيّعَهُ قَالَ: فَلَمّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ

---

[1] إِضَمٌ، كَعِنَبٍ: جَبَلٌ : بَين اليَمامَةِ وضَرِيَّةَ، ... و قَالَ السَّيِّد عَلِيُّ بنُ عِيسَى: إِضَمٌ؛ وادٍ بحيال تِهامَةَ وَهُوَ الوادِي الَّذِي فِيهِ المَدينَة النَّبَوِيّة ﷺ على ساكِنها، فَمن عِنْدَ المَدِينَةِ يُسَمَّى القَناةَ، وَمن أَعْلَى مِنْهَا عندَ السُّدّ يُسمَّى الشَّظاةَ، ثمَّ مَا كَانَ أَسْفَلَ ذَلِك يُسَمَّى إِضَمًا إِلَى البَحْر. وَقَالَ ابنُ السِّكِّيت: إِضَمٌ: وادٍ يَشُقُّ الحِجازَ حَتَّى يُفْرِغَ فِي البَحْرِ، وأَعْلَى إِضَم، القَناةُ الَّتِي تَمُرُّ دُوَيْنَ الْمَدِينَة. وَقيل: إِضَمٌ: وادٍ لأَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ....وذُو إِضَم: ماءٌ بَين مَكَّةَ واليَمامَةِ عِنْد السُّمَيْنَة يَطَؤُه الحاجُّ. وَقيل: جَوْفٌ هُنَاكَ بِهِ ماءٌ وأَماكِنُ يُقَال لَهَا: الحَناظِلُ، وَله ذِكْرٌ فِي سَرايا رَسُول الله ﷺ.... وأُضُم، بِضَمٍّ فسُكونُ: موضعٌ (تاج العروس: أ ض م ٣١/ ٢١٩ وينظر: معجم البلدان ١/ ٢١٤).

﴿ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:٩٤]، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَرَأَ أَبُو عَمْرِو بْنِ الْعِلَاءِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ لِهَذَا الْحَدِيثِ»[1].

ذكر السهيلي سبب نزول الآية الكريمة، ثم عقب بذكر ابن هشام (ت٢١٨هـ) على القراءة المتواترة في الآية الكريمة، إلا أنه يلحظ على هذا الكلام أمور:

الأول: أن ابن هشام (ت٢١٨هـ) أفرد أبا عمرو بن العلاء في نسبة القراءة، وقد شاركه غيره من القراء العشرة، حيث قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ عَامِرٍ وحَمْزَةُ وَخَلَفٌ بِحَذْفِ أَلِفِ ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِإِثْبَاتِهَا[2].

فإن قيل: ما سبب إفراد ابن هشام أبا عمرو بالذكر؟ قلت : لعل ذلك يرجع إلى أن قراءة أبي عمرو البصري كانت هي القراءة المستعملة في هذه الحقبة، ويؤيد هذا الاجتهاد قول المقدسي البشاري (٣٣٦ - نحو ٣٨٠هـ):" القراءات بمكة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءة عاصم، ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الأقاليم" [3]، وقال ابن الجزري(ت٨٣٣هـ):" القراءة التي عليها الناس اليوم بالشام والحجاز

---

[1] الروض الأنف٧/ ٤٨٧ وينظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٦٦٢والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩/ ٣١٠/ ٢٣٨٨١) وقال محققه: إسناده محتمل للتحسين.

[2] تقريب النشر في القراءات العشر ٢/ ٤٩٦ .

[3] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٠٨ .

واليمن ومصر هي قراءة أبي عمرو، فلا تكاد تجد أحدًا يلقن القرآن إلا على حرفه خاصة في الفرش ، ولقد كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمسمائة، فتركوا ذلك لأن شخصًا قدم من أهل العراق وكان يلقن الناس بالجامع الأموي على قراءة أبي عمرو، فاجتمع عليه خلق واشتهرت هذه القراءة عنه" [1].

الثاني: أن ابن هشام (ت٢١٨هـ) ذكر أن أبا عمرو قرأ ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ بالألف لهذا الحديث الذي ذكره السهيلي في سبب نزول الآية الكريمة، وليس معنى ذلك أن أبا عمرو قرأ هكذا بعد علمه بالحديث، فهو القائل: " لَوْلاَ أَنْ لَيْسَ لِي أَنْ أَقرَأَ إِلاَّ بِمَا قُرِئَ، لَقَرَأْتُ حَرْفَ كَذَا وكذا كذا...، وَذَكَرَ حُرُوْفًا"[2]، وهذا من الأدلة الواضحة، على أن القراءة سنة متبعة لا يسع المسلم الخروج عليها، إذا ثبتت عن رسول الله ﷺ، وإنما دلالة ذلك الاحتجاج للقراءة أو لاختيار أبي عمرو، وهذا التعبير من ابن هشام يقارب التعبيرات المستعملة في الاحتجاج للقراءات عند القدامى، قَالَ ابْن سَلام(١٥٠ - ٢٣٢هـ): قلت ليونس (٩٤ - ١٨٢هـ): كَيفَ تقْرَأ ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]؟ فَقَالَ: قَالَ الجعدي (ت نحو ٥٠هـ) وَهُوَ أفْصح الْعَرَب:

مِـنْ سَـبَأَ الحَاضِـرين مَـأرِبَ إذْ يَبْنُـونَ مِـنْ سَـيْلِهِ العَرِمَـا[3]

---

[1] غاية النهاية لابن الجزري ١/ ٢٩٢.

[2] تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٤/ ١٢٤وتاريخ الإسلام ٤/ ٢٦٣ وسير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٨ وغاية النهاية ١/ ٢٩٠.

[3] البيت من المنسرح ، وقد اختلفوا في غرو هذا البيت بعضهم نسبوه إلى النابغة الجعدي، وهو في ديوانه ١٣٤، والكتاب (٣/ ٢٥٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٤٧)، وبعضهم إلى أمية ابن أبي الصلت وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت رقم ٥١ وفي ملحق ديوان الأعشى أيضا ص ٢٥٨.

وَهُوَ على قِرَاءَة أَبي عَمْرو(ت١٥٤هـ) وَيُونُس(ت١٨٢هـ)[1].

الثالث: يفهم من كلام ابن إسحاق وموافقة السهيلي له أنهما يقولان بتنوع المعنى تبعا لاختلاف القراءة، حيث جعلا قراءة ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ بمعنى تحية المسلمين، وهذا ما قال به جمهور العلماء" فمن قرأ ﴿السَّلَمَ﴾ أَرَادَ الِانْقِيَادَ وَالِاسْتِسْلَامَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذِ ٱلسَّلَمَ﴾[النَّحْلِ: ٨٧] أَيِ اسْتَسْلَمُوا لِلْأَمْرِ.

وَمَنْ قَرَأَ ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ بِالْأَلِفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّلَامَ الَّذِي يَكُونُ هُوَ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ، أَيْ لَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّاكُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ إِنَّهُ إِنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا فَتُقْدِمُوا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ لِتَأْخُذُوا مَالَهُ وَلَكِنْ كُفُّوا وَاقْبَلُوا مِنْهُ مَا أَظْهَرَهُ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا لِمَنِ اعْتَزَلَكُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ السَّلَامَةِ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَ طَالِبٌ لِلسَّلَامَةِ[2].

قال الزجاج(ت٣١١هـ): ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ يجوز أن يكون بمعنى التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى الاستسلام، و﴿السَّلَمَ﴾ من الاستسلام[3]، وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ): «{ولا تقولوا} قولاً فضلاً عما هو أعلى منه ﴿لِمَنْ أَلْقَىٰٓ﴾ أي كائنًا من كان ﴿إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي بادر بأن حياكم بتحية

---

[1] طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٦.

= قرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل بإسكان الهمزة، والباقون بالخفض والتنوين (تقريب النشر في القراءات العشر ٢/ ٦٢٥).

[2] مفاتيح الغيب ١١/ ١٨٩.

[3] زاد المسير ١/ ٤٥٣ وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٩٢.

الإسلام ملقياً قياده ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾» [١].

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): «﴿السَّلَمَ﴾ ضِدُّ الْحَرْبِ، وَمَعْنَى أَلْقَى السَّلَمَ أَظْهَرَهُ بَيْنَكُمْ كَأَنَّهُ رَمَاهُ بَيْنَهُمْ، و﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ ... مُشْتَرِكٌ بَيْنَ مَعْنَى السَّلَمِ ضِدَّ الْحَرْبِ، وَمَعْنَى تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ قَوْلُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَيْ مَنْ خَاطَبَكُمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ» [٢].

وهذا الذي عليه جمهور المفسرين، أقرته معاجمنا اللغوية:

قال الزبيدي(ت١٢٠٥هـ):" السِّلْم ـ بالكَسْر ـ : المُسالِم، وَبِه فُسّر قَولُه تَعالَى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[الزمر:٢٩] أَي: مُسالِما على قِراءة مَنْ قَرَأَ بالكَسْر[٣]، وَتقول: أَنا سِلْم لِمَنْ سَالَمَنِي، والسِّلْمُ: الصُّلْح ويُفْتَح لُغَتان، يُذَكَّر وَيُؤَنَّث، ... والسِّلم مثل السَّلاَم والإسْلام .

والمُرادُ بالسَّلام هُنَا الاستِسْلام والانْقِياد... والسَّلَم: الاسْتِسْلاَم... والانْقِياد، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾[النساء:٩٠] أَي: الانْقِياد، وَهُوَ مصدر يَقَع على الواحِد والاثْنَيْن والجَمْع» [٤].

الثالث: يعد السياق الخارجي (سبب النزول) رافدا من روافد الاحتجاج للقراءات عند السهيلي، و" ذَلِك أَن الْمَقْتُول قَالَ لَهُم «السَّلَام عَلَيْكُم» فَقَتَلُوهُ وَأخذُوا سلبه، فَأعْلم الله أَن حق من ألْقى السَّلَام أَن يتَبَيَّن أمره" [٥].

---

[١] نظم الدرر ٥/ ٣٦٦.

[٢] التحرير والتنوير ٥/ ١٦٧ .

[٣] قرأ ابن كثير والبصريان بالألف وكسر اللام، والباقون بغير ألف وبالفتح (تقريب النشر في القراءات العشر ص٦٦٦) .

[٤] تاج العروس (س ل م).

[٥] حجة القراءات ص٢٠٩ .

عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤] تِلْكَ الغُنَيْمَةُ " قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿السَّلَمَ﴾[1].

الرابع: ـ اخْتَارَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ(ت٢٢٤هـ) ﴿السَّلَمَ﴾، وَخَالَفَهُ أَهْلُ النَّظَرِ فَقَالُوا: ﴿السَّلَمَ﴾ هَاهُنَا أَشْبَهُ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الِانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل:٢٨]، فَالسَّلَمُ الِاسْتِسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ، أَيْ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى بِيَدِهِ وَاسْتَسْلَمَ لَكُمْ وأظهر دعوتكم لست مؤمنا[2]،قال الجعبري(ت٧٣٢هـ) : " واختياري القصر لنصه على المعنى الحاقن للدم، وعليه صريح الرسم"[3]، وإذا كان ﴿السَّلَمَ﴾ قوله السَّلَامِ عَلَيْكُمْ، فهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ، لِأَنَّ سَلَامَهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ مُؤْذِنٌ بِطَاعَتِهِ وَانْقِيَادِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الِانْحِيَازُ وَالتَّرْكُ. قَالَ الْأَخْفَشُ(ت٢١٥هـ): يُقَالُ فُلَانٌ سَلَامٌ إِذَا كَانَ لَا يُخَالِطُ أَحَدًا. وَالسِّلْمُ ـ بِشَدِّ السِّينِ وَكَسْرِهَا وَسُكُونِ اللَّامِ ـ الصُّلْحُ [4].

الخامس: روى عُبَيْد بن عَقِيْلٍ(ت٢٠٧هـ) عن شِبْلِ بنِ عَبَّادٍ(٧٠ ـ ١٦٠هـ) عن ابن كثير: ﴿أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ بغير ألف. قال عُبَيْد: وهم

---

[1] صحيح البخاري (٦/ ٤٧/ ٤٥٩١).
[2] الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٣٨.
[3] شرح الجعبري على الشاطبية ٣/ ١٤٣١.
[4] الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٣٨.

يقرءون كلّ شيء في القرآن من الاستسلام بغير ألف [١].

السادس: اتفقت القراءات المتواترة على ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ دون ألف في أربعة مواضع وكلها في سياق الِانْقِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ:

- قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[النساء:٩٠]
- وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾[النساء:٩١]
- و قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾[النحل:٢٨]
- وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذِ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٨٧]

وهذا ما يؤكد التفرقة الدلالية بين القراءتين، قال أبو علي(ت٣٧٧هـ):" ومن قال ﴿السَّلَمَ﴾ أراد الانقياد والاستسلام إلى المسلمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذِ ٱلسَّلَمَ﴾[النَّحْلِ: ٨٧] أي: استسلموا لأمره، ولما يراد منهم، ولم يكن لهم من ذلك محيص ومنه قوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[الزمر:٢٩] أي: منقاد له غير مخالف عليه ولا متشاكس "[٢].

وأما لفظ ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ فورد في القرآن على ستة أوجه: الأول: اسم الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣]... الثاني:

---

[١] الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٧٥.

[٢] الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٧٧.

الخير، قال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الزخرف:٨٩]أي: قل خير... الثالث: الثناء الحسن، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩]... الرابع: السلامة من الشر، قال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].... الخامس: بمعنى تسليم الشيء إلى صاحبه، قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[الحجر:٤٦] ... السادس: التحية، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ [الرعد:٢٤] أي: يدخل الملائكة عليهم مسلمين مهنئين [1].

فما ذهب إليه السهيلي من تنوع المعنى لتنوع القراءات هو الراجح، ويؤيده تنوع القراءات في هذا الموضع، واتفاقهم في المواضع الأربعة الأخرى على القصر؛ لأنهما في سياق الاستسلام والخضوع.

ولا غرو أن تأتي قراءة إثبات الألف لهذا المعنى الجليل، فتحية الإسلام لها مكانتها السامقة في إسلامنا الحنيف، فمن ألقى السلام حتى ولو كان على غير ملة الإسلام يكون في مأمن من الأذى، ولا عليك أن تبحث عن نيته أو ما بداخله فالله يتولى السرائر.

وجاءت القراءة الأخرى لتقرر أنه لو لم يلق السلام إلا أنه أظهر استسلاما وخضوعا وانقيادا فهو في مأمن أيضا، فديننا الإسلامي من خلال معطيات القراءتين المتواترتين دين سِلم وسلام لا قتل ولا سفك دماء.

[1] الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٢٥٦.

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾[الأنفال:١]

القراءة المتواترة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، وقرئ في الشواذ بإسقاط ﴿عَنِ﴾، ونصب ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ [1].

وقد ذكر أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) توجيه القراءتين، فقال: «السُّؤَالُ قَدْ يَكُونُ لِاقْتِضَاءِ مَعْنًى فِي نفس المسئول فَيَتَعَدَّى إِذْ ذَاكَ بِعَنْ كَمَا قَالَ:

سَـلي إنْ جَهِلْـتِ النـاسَ عنَّـا . ..... [2]

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف:١٨٧] [النازعات:٤٢] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧] وَكَذَا هنا ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾حُكْمِهَا وَلِمَنْ تَكُونُ؟ وَلِذَلِكَ جَاءَ الْجَوَابُ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ

---

[1] قراءة شاذة نسبت لابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وأبي جعفر محمد بن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف (المحتسب ١/ ٢٧٢ والمغني لابن الدهان٢/ ٨٧٦)، ولابن مسعود فقط في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ٣٠٧ و لسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأُبيّ بن كعب وأبي العالية (زاد المسير ٢/ ١٨٧)، ولسعد بن أبي وقاص وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَوَلَدَيْهِ زَيْدٍ وَمُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ وَوَلَدِهِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَالضَّحَّاكِ وَطَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ فِي: (البحر المحيط ٥/ ٢٦٨ هـ).

[2] صدر بيت من الطويل للسَّمَوْأَلِ أَوِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْحَارِثِيِّ أَوْ غَيْرِهِمَا وعجزه:

.....فليس سواءً عالمٌ وجَهولُ.

(التحرير والتنوير ٩/ ٢٠٤ وحاشية الصبان على الأشموني ١/ ٢٣٢).

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾، وَقَدْ يَكُونُ السُّؤَالُ لِاقْتِضَاءِ مَالٍ وَنَحْوِهِ فَيَتَعَدَّى إِذْ ذَاكَ لِمَفْعُولَيْنِ، تَقُولُ سَأَلْتُ زِيَادًا مَالًا، وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ السُّؤَالَ هُنَا بِهَذَا الْمَعْنَى وَادَّعَى زِيَادَةَ ﴿عَنِ﴾، وَأَنَّ التَّقْدِيرَ يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ، وَلَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ، وَيَنْبَغِي أَنْ تُحْمَلَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ بِإِسْقَاطِ ﴿عَنِ﴾ عَلَى إِرَادَتِهَا؛ لِأَنَّ حَذْفَ الْحَرْفِ، وَهُوَ مُرَادٌ مَعْنًى، أَسْهَلُ مِنْ زِيَادَتِهِ لِغَيْرِ مَعْنًى غَيْرَ التَّوْكِيدِ ... وَقِيلَ: ﴿عَنِ﴾ بِمَعْنَى مِنْ، أَيْ يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَنْفَالِ، وَلَا ضَرُورَةَ تدعوا إِلَى تَضْمِينِ الْحَرْفِ مَعْنَى الْحَرْفِ» [1].

ومعنى هذا أن أبا حيان يرى أن القراءتين بمعنى واحد، وأن السؤال في القراءتين يحمل دلالة اقتضاء مَعْنًى في نفس المسئول، فهم يسألون عن حكمها، ولمن تكون...، ويشهد له ما جاء في تاج العروس «سَأَلَهُ كَذَا، وَعَن كَذا، وبِكَذا: بِمَعْنىً واحِدٍ، يُقالُ: سَأَلَهُ الشَّيْءُ، وعَنِ الشَّيْءِ» [2]. وقال الراغب(ت٥٠٢هـ): «السُّؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللّسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللّسان خليفة لها إمّا بوعد، أو بردّ.... والسُّؤَالُ إذا كان للتّعريف تعدّى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجارّ، تقول: سألته كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥] ...، وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]، وإذا كان السّؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدّى بنفسه أو بمن، نحو: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

---

[1] البحر المحيط ٥/ ٢٦٨ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥/ ٥٥٥.

[2] تاج العروس (س أ ل).

مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[الأحزاب:٥٣] » [١].

ويحتج لهذا الرأي بالسياق اللاحق؛ إذ جاء جواب السؤال بما يقتضي هذه الدلالة، وهو قوله تعالى ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وحمل القراءة الشاذة على إرادة حرف الجر.

وهذا ما لم يقبله ابن جني(ت٣٩٢هـ)، حيث قال: «فإن قلت: فهل يحسن أن تحملها على حذف حرف الجر حتى كأنه قال: يسألونك عن الأنفال، فلما حذف (عن) نصب المفعول، كقوله:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... . [٢]

قيل: هذا شاذ، إنما يحمله الشعر، فأما القرآن فيُختار له أفصح اللغات، وإن كان قد جاء: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف:١٥٥] و﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾[التوبة:٥] فإن الأظهر ما قدمناه» [٣].

لكنّ العلامة أبا القاسم السهيلي يذهب إلى تنوع المعنى تبعا لتنوع القراءتين، فيقول:

> «قرأ ابن مسعود (ت٣٢هـ)وعطاء(ت١١٤هـ) (يَسْئَلُونَكَ الْأَنْفال)، وقرأت الجماعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، وَالْمَعْنَى صَحِيحٌ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ؛ لأنهم سألوها، وسألوا عَنْهَا لِمَنْ هِيَ» [٤].

فجعل لكل قراءة معنى، والسياق الخارجي يؤيد المعنيين، فعلى

---

[١] المفردات في غريب القرآن ص٤٣٧ .

[٢] صدر بيت من البسيط لعَمْرِو بْنِ مَعْدِي كرِبَ في ديوانه ص٦٣ ، وعجزه: فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ .

[٣] المحتسب ١/ ٢٧٢ .

[٤] الروض الأنف٥/ ٢٢٦.

القراءة الشاذة يكون سؤالها بمعنى طلبتم أخذها، وعلى القراءة المتواترة يكون السؤال عن حكمها.

وَالْمَعْنَى على القراءة المتواترة: يَسْأَلُونَكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ عَنِ الْأَنْفَالِ لِمَنْ هِيَ؟ أَلِلشُّبَّانِ أَمْ لِلْمَشْيَخَةِ؟ أَمْ لِلْمُهَاجِرِينَ أَمْ لِلْأَنْصَارِ؟ ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.أَيْ: قُلْ لَهُمْ: الْأَنْفَالُ لِلَّهِ يَحْكُمُ فِيهَا بِحُكْمِهِ، وَلِلرَّسُولِ يُقَسِّمُهَا بِحَسَبِ حُكْمِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَسَّمَهَا ﷺ بِالسَّوَاءِ، وَهَذَا لَا يُنَافِي التَّفْصِيلَ الَّذِي سَيَأْتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال:٤١] إِلَخْ، فَيَكُونُ التَّفْصِيلُ نَاسِخًا لِلْإِجْمَالِ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ، فَالصَّوَابُ قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ: إِنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ مَصَارِفَهَا فِي آيَةِ الْخُمُسِ، وَلِلْإِمَامِ أَنْ يُنَفِّلَ مَنْ شَاءَ مِنَ الْجَيْشِ مَا شَاءَ قَبْلَ التَّخْمِيسِ فَاتَّقُوا اللهَ فِي الْمُشَاجَرَةِ وَالْخِلَافِ وَالتَّنَازُعِ[1].

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ): « ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾أي الذين عند ربك[2] هم الذين هزموا الكفار في الحقيقة كما علمتم ذلك - وسيأتي بيانه، فهم المستحقون للأنفال وليس لهم إليها التفات وإنما همهم العبادة، والذين

---

[1] تفسير المنار ٩/ ٤٨٩.

[2] يشير إلى قوله تعالى آخر سورة الأعراف قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٠٦]، وهم الملائكة الذين إذا ذكر القرآن عنهم نصر المؤمنين في غزوة الأنفال، قال تعالى: قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنفال:١٢].

عندك إنما جعلتهم آلة ظاهرة ومع ذلك فهم يسألون ﴿عن الأنفال﴾ التي توليتم إياها بأيدي جنودي سؤال منازعة ينبغي الاستعاذة بالله منها - كما نبه عليه آخر الأعراف - لأن ذلك يفضي إلى افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة الأعداد،... ولما كان السؤال عن حكمها، كان كأنه قيل: فماذا يفعل؟ فقال دالاً على أنهم سألوا عن مصرفها وحكمها - ليطابق الجواب السؤال: ﴿قل﴾ أي لهم في جواب سؤالهم ﴿الأنفال لله﴾ أي الذي ليس النصر إلا من عنده لما له من صفات الكمال ﴿والرسول﴾ أي الذي كان جازمًا بأمر الله مسلمًا لقضائه ماضيًا فيما أرسله به غير متخوف من مخالطة الردى بمواقعة العدى»[1].

فالسُّؤَالُ حَقِيقَتُهُ الطَّلَبُ، فَإِذا عدّي ب (عَن) فَهُوَ طَلَبُ معرفَة الْمَجْرُور ب (عَن) وَإِذَا عُدِّيَ بِنَفْسِهِ فَهُوَ طَلَبُ إِعْطَاءِ الشَّيْءِ، فَالْمَعْنَى، هُنَا: يَسْأَلُونَكَ مَعْرِفَةَ الْأَنْفَالِ، أَيْ مَعْرِفَةَ حَقِّهَا فَهُوَ مِنْ تَعْلِيقِ الْفِعْلِ بِاسْمِ ذَاتٍ، وَالْمُرَادُ حَالُهَا بِحَسَبِ الْقَرِينَةِ مِثْلَ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [الْمَائِدَة: ٣] وَإِنَّمَا سَأَلُوا عَنْ حُكْمِهَا صَرَاحَةً وَضِمْنًا فِي ضِمْنِ سُؤَالِهِمُ الْأَثَرَةَ بِبَعْضِهَا.

وَمَجِيءُ الْفِعْلِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ دَالٌّ عَلَى تَكَرُّرِ السُّؤَالِ، إِمَّا بِإِعَادَتِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْأُخْرَى مِنْ سَائِلَيْنِ مُتَعَدِّدَيْنِ، وَإِمَّا بِكَثْرَةِ السَّائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ حِينَ الْمُحَاوَرَةِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ. وَلِذَلِكَ كَانَ قَوْله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ مؤذنا بتنازع بَين الْجَيْش فِي اسْتِحْقَاقِ الْأَنْفَالِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ عَوَائِدُ مُتَّبَعَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْغَنَائِمِ وَالْأَنْفَالِ أَرَادُوا الْعَمَلَ بِهَا وَتَخَالَفُوا فِي شَأْنِهَا فَسَأَلُوا، وَضَمِيرُ جَمْعِ الْغَائِبِ إِلَى مَعْرُوفٍ عِنْدَ النَّبِي وَبَيْنَ السَّامِعِينَ حِينَ نزُول الْآيَة [2].

---

[1] نظم الدرر ٨/ ٢١٧.

[2] التحرير والتنوير ٩/ ٢٤٨ .

والسياق الخارجي الذي يشهد للقراءة الشاذة ما ثبت عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ: أَصَبْتُ سَيْفًا، فَأَتَيِ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، نَفِّلْنِيهِ، فَقَالَ: «ضَعْهُ»، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: نَفِّلْنِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «ضَعْهُ»، فَقَامَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ، أَوُجْعَلُ كَمَنْ لا غَنَاءَ لَهُ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ١] (١).

والسياق الخارجي الذي يشهد للقراءة المتواترة ما صح عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَدْرٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ، فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللهُ اتَّبَعَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُونَهُمْ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَاسْتَوْلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ، وَالنَّهْبِ، فَلَمَّا كَفَى اللهُ الْعَدُوَّ، وَرَجَعَ الَّذِينَ طَلَبُوهُمْ، قَالُوا: لَنَا النَّفْلُ نَحْنُ طَلَبْنَا الْعَدُوَّ وَبِنَا نَفَاهُمُ اللهُ وَهَزَمَهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ الله ﷺ: وَالله مَا أَنْتُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنَّا، هُوَ لَنَا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ، لِأَنْ لَا يَنَالَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، قَالَ الَّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْعَسْكَرِ، وَالنَّهْبِ وَالله مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ مِنَّا هُوَ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ﴾ [الأنفال: ١] الْآيَةَ، فَقَسَمَهُ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُنَفِّلُهُمْ، إِذَا خَرَجُوا بَادِينَ الرُّبُعَ، وَيُنَفِّلُهُمْ إِذَا قَفَلُوا الثُّلُثَ، وَقَالَ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ، قَدْرَ هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسِ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ، وَالْمَخِيطَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ، فَإِنَّهُ عَارٌ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَيْكُمْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٣/ ١٣٦٤/ ١٧٤٨) .

بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ» قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ، وَيَقُولُ: «لِيَرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ»[1].

العلاقة بين القراءتين:

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي: ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضًا لطلبها، واستعلامًا لحالها: هل يسوغ طلبها؟، وهذه القراءة بالنصب إصراح بالتماس الأنفال، وبيانٌ عن الغرض في السؤال عنها[2].

التنوع اللغوي بين القراءتين:

أ ـ دلالة السؤال في القراءة المتواترة: يسألون عن حكمها، وفي القراءة الشاذة بمعنى طلبتم أخذها، ولعل السؤالين من طائفتين مختلفتين، أو السؤال الطلب مثل سؤال الحكم.

ب ـ القراءة الشاذة واردة «على التفسير »[3].

ج ـ تعدى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ في القراءة الشاذة إلى مفعولين، أحدهما الضمير والآخر الاسم الظاهر ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾، وفي القراءة المتواترة تعدى إلى مفعول واحد بنفسه، وللثاني بحرف جر، « وسَأَلَ يَتَعَدَّى إِلَى الثَّانِي بِعَنْ وَإِلَى الْأَوَّلِ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ يَنْعَكِسُ، وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَكْثَرُ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[البقرة: ١٨٩] وَ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢][4].

د ـ ذكر بعض الْمُفَسّرين أَن (عن) فِي الْقُرْآن على أَرْبَعَة أوجه: -

---

[1] أخرجه ابن حبان(١١/ ١٩٣/ ٤٨٥٥) .

[2] المحتسب ١/ ٢٧٢ .

[3] إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٨٩ .

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ١٨٤٦ .

أَحدهَا: صلَة فِي الْكَلَام، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، وَالثَّانِي: بِمَعْنى " الْبَاء "، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود:٥٣]، وَفِي [النجم:٣]: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾، وَالثَّالِث: بِمَعْنى " من "، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥]، وَالرَّابِع: بِمَعْنى "على"، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[محمد:٣٨][1].

هـ ـ هذه القراءة الشاذة واردة في كتب السنة الصحيحة، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ قَدْ شَفَى صَدْرِي الْيَوْمَ مِنَ الْعَدُوِّ، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ. قَالَ: «إِنَّ هَذَا السَّيْفَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ». فَذَهَبْتُ وَأَنَا أَقُولُ يُعْطَاهُ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يُبْلِ بَلَائِي، فَبَيْنَمَا أَنَا إِذْ جَاءَنِي الرَّسُولُ فَقَالَ: «أَجِبْ». فَظَنَنْتُ أَنَّهُ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ بِكَلَامِي فَجِئْتُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ سَأَلْتَنِي هَذَا السَّيْفَ، وَلَيْسَ هُوَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُ لِي فَهُوَ لَكَ». ثُمَّ قَرَأَ: " ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ١] " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: «يَسْأَلُونَكَ النَّفْلَ»[2].

[1] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٤٣٨.

[2] أخرجه أبو داود في سننه(٣/ ٧٧/ ٢٧٤٠).

الموضع السادس:

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[الأنبياء:٩٨]

قال السهيلي:

«وَقَوْلُهُ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] هُوَ مِنْ بَابِ الْقَبْضِ وَالنَّفْضِ، وَالْحَصْبُ ـ بِسُكُونِ الصَّادِ ـ كَالْقَبْضِ وَالنَّفْضِ، وَمِنْهُ الْحَاصِبُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٧]، وَيُرْوَى:(حَضَبُ جَهَنَّمَ) بِضَادٍ مُعْجَمَةٍ فِي شَوَاذِّ القراءات، وَهُوَ مِنْ حَضَبَت النَّارُ بِمَنْزِلَةِ حَضَأْتهَا، يُقَالُ: أرّثتها وأثقبتها وحششتها وأذكيتها»[(١)].

ذكر السهيلي في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ثلاث قراءات:

الأولى: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ وهي القراءة المتواترة: ﴿حَصَبُ﴾ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مفتوحة، والمعنى " إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ الله وَقُودُ جَهَنَّمَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وعكرمة وقتادة: حطبها"[(٢)]، وَالْحَصَبُ: اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَحْصُوبِ بِهِ، أَيِ الْمَرْمِيِّ بِهِ. وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحَصْبَاءَ لِأَنَّهَا حِجَارَةٌ يُرْمَى بِهَا، أَيْ يُرْمَوْنَ فِي جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[الْبَقَرَة: ٢٤] أَيِ الْكُفَّارُ وَأَصْنَامُهُمْ [(٣)].

الثانية: (حَصْبُ جَهَنَّمَ) ـ بإسكان الصاد المهملة ـ وهي قراءة شاذة نسبت لابْن السَّمَيْفَعِ وَابْن أَبِي عَبْلَةَ وَمَحْبُوب وَأَبي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ كَثِيرٍ،

[(١)] الروض الأنف٣/ ٣١٩.

[(٢)] الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٣.

[(٣)] التحرير والتنوير ١٧/ ١٥٣.

وَرُوِيَتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [١]، وَهُوَ مَصْدَرٌ يُرَادَ بِهِ الْمَفْعُولُ أَيِ الْمَحْصُوبُ[٢].

الثالثة: (حَضَبُ) بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ مفتوحة، وهي قراءة شاذة ـ أيضا ـ ونسبت لابْن عَبَّاسٍ، قَالَ الجوهري(ت٣٩٣هـ): "والحضب لغة في الحصب، ومنه قرأ ابن عباس: (حَضَبُ جَهَنَّم)، قال الفراء(ت٢٠٧هـ): يريد الحصب. قال: وذكر لنا أن الحضب في لغة أهل اليمن الحطب. قال: وكل ما هيجت به النار وأوقدتها به فهو حضب " [٣]، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ كُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ فِي النَّارِ فَقَدْ حَصَبْتَهَا بِهِ [٤].

ـ وقَرَأَ كُثَيِّرٌ عِزَّةَ (حَضْبُ جَهَنَّمَ) بالضاد المعجمة ساكنة[٥].

ـ وقرا علي بن أَبِي طَالِبٍ وَعَائِشَةُ وابن الزبير وأبي بن كعب وعكرمة ـ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم ـ :(حَطَبُ جَهَنَّمَ) بِالطَّاءِ[٦]، قال السمين:" ولا أظنُّها إلاَّ تفسيراً لا تلاوةً"[٧].

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): أما الحَضَبُ بالضاد مفتوحة، وكذلك بالصاد غير معجمة فكلاهما الحطب، ففيه ثلاث لغات: حَطَبُ، وحَضَبُ، وحَصَبُ، وإنما يقال: حَصَبٌ إذا ألقي في التنور والموقد. فأما ما لم يستعمل

---

[١] الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائد عليها ص٦٠٢ والبحر المحيط ٧/ ٤٦٩.

[٢] البحر المحيط ٧/ ٤٦٩.

[٣] الصحاح (ح ض ب) ١/ ١١٣.

[٤] الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٣.

[٥] البحر المحيط ٧/ ٤٦٩.

[٦] المحتسب ٢/ ٦٦والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٤٣ و الدر المصون ٨/ ٢٠٧.

[٧] الدر المصون ٨/ ٢٠٧.

فلا يقال له: حصب. وقال أحمد بن يحيى: أصل الحَصْب الرمي، حطبًا كان أو غيره. فهذا يؤكد ما ذكرناه من كونه المرمي في النار. قال الأعشى:

فــلا تَــكُ في حربنــا مِحْضَــبًا لِتَجْعَـلَ قوْمَـكَ شَـتَّىٰ شُـعُوبَا[1]

فأما (الحَصْب) ساكنا بالصاد والضاد فالطرح، فقراءة من قرأ: (حَضْبُ جَهَنَّمَ) و (حَصْبُ جَهَنمَ) بإسكان الثاني منهما إنما هو على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول، كالخلق في معنى المخلوق، والصيد في معنى المصيد"[2].

وقال أبو حيان(ت٧٤٥هـ): ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾:" مَا يُحْصَبُ بِهِ أَيْ يُرْمَى بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وقبل أن يرمي به لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ حَصَبٌ إِلَّا مَجَازًا"[3].

قال الخليل(ت١٧٥هـ):" والحَصَبُ: الحَطَب للتَّنُّور أو في وقود ، أما ما دام غيرَ مُسَتْعمل للسُجُور فلا يُسَمَّى حصبًا" [4]، وفي تاج العروس:" والحَصَبُ، مُحَرَّكَةً، والحَصْبَةُ ـ بفَتْحٍ فَسُكُونٍ ـ : الحِجَارَةُ، وَاحِدَتُهَا حَصَبَةٌ، مُحَرَّكَةً كَقَصَبَةٍ وَهُوَ نَادِرٌ، وحَصَبْتُه: رَمَيْتُهُ بهَا، والحَجَرُ المَرْمِيُّ بِهِ حَصَبٌ، كَمَا يُقَال نَفَضْتُ الشيءَ نَفْضًا، والمَنْفُوضُ نَفَضٌ، والحَصَبُ : الخَطَبُ عَامَّةً، وقَال الفَرَّاءُ: هِيَ لُغَةُ اليَمَنِ، وكُلُّ مَا يُرْمَى بِهِ فِي النَّارِ من حَطَبٍ وغَيْرِه فَهُوَ حَصَبٌ وَهُوَ لُغَةُ أَهْلِ نَجْدٍ، كَمَا رُوِيَ عَن الفَرَّاءِ أَيضًا، أَوْ لاَ يَكُونُ

---

[1] البيت من المتقارب للأعشى في ملحقات الديوان (ط أوروبا) ص ٢٣٦ ، والعين ٣/ ١٠٩ ، واللسان (ح ض ب) وليس في ديوانه ط. دار الكتاب العربي. والمحضب: المسعر، وهو عود تحرك به النار عند الإيقاد.

[2] المحتسب ٢/ ٦٦.

[3] البحر المحيط ٧/ ٤٦٩.

[4] العين ٣/ ١٢٣.

الحَطَبُ حَصَبًا حَتَّى يُسْجَرَ بِهِ، وَفِي التَّنْزِيل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] ورُوِيَ عنْ عَليَ ـ كرَّمَّ الله وجهَه ـ أَنه قرأَه (حَطَبُ جَهَنَّمَ) . وحَصَبَ النَّارَ بالحَصبِ يَحْصُبُهَا حَصْبًا: أَضْرَمَهَا، وَقَالَ الأَزهَرِيُّ(ت٣٧٠هـ) الحَصَبُ: الحَطَبُ الَّذِي يُلْقَى فِي تَنُّورٍ أَوْ فِي وَقُودٍ فأَمَّا مَا دَامَ غَيْرَ مُسْتَعْمَلٍ للسَّجُورِ فَلَا يُسَمَّى حَصَبًا" [1]، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هُوَ حَطَبُ جَهَنَّمَ بالحَبَشِيَّةِ، قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: إِنْ كَانَ أَرَادَ أَنَّ العَرَب تكَلَّمَتْ بِهِ فَصَارَ عَرَبِيَّةً وإِلاَّ فَلَيْسَ فِي القُرْآنِ غَيْرُ العَرَبِيّةِ. ... والحَصْبُ: رَمْيُكَ بِالْحَصْبَاءِ، حَصَبَهُ يَحْصُبُهُ حَصْبًا : رَمَاهُ بهَا، وَفِي حَدِيثِ ابْن عُمَرَ أَنَّهُ «رَأَى رَجُلَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَحَصَبَهُمَا »[2] أَي رَجَمَهَا بِالحَصْبَاءِ، و حَصَبَ المَكَانَ بَسَطَهَا فِيهِ، أَيْ أَلْقَى فِيهِ الحَصْبَاءَ الصِّغَارَ وفَرَشَهُ بالحَصْبَاءِ ... والحَصْبَاءُ هُوَ الحَصَى الصِّغَارُ"[3].

وفي الكليات:" كل مَا هيجت بِهِ النَّار إِذا أوقدتها فَهُوَ حصب، وَلَا يكون الْحَطب حَصْبًا حَتَّى يسجر بِهِ أَي يحمى بِهِ التَّنور، قَالَ بَعضهم: لحصب جَهَنَّم اعتباران؛ فَمن حَيْثُ تتقد بِهِ النَّار بِلَا مهلة وقود، وَمن حَيْثُ زَمَانا بقدرة الله حصب" [4]، " والحَضَبُ: الحَطَبُ فِي لُغَةِ اليَمَنِ، وَقد يُسَكَّن، وَقيل: هُوَ كُلّ مَا أُلْقِيَ فِي النارِ من حَطَبٍ وغيرِه يُهَيِّجُهَا بِهِ، وحَضَبَ النَّارَ يَحْضِبُهَا: رَفَعَهَا، أَو حَضَبَ النَّارَ إِذا خَبَتْ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا الحَطَبَ لِتَقِدَ،

---

[1] تهذيب اللغة (ح ص ب) ٤/ ١٥٣

[2] موطأ مالك ص١٠٤ ح٩.

[3] تاج العروس (ح ص ب) ٢/ ٢٨٢ وينظر: مقاييس اللغة (ح ص ب) ٢/ ٧٠.

[4] الكليات ص ٣٦٠.

... كأَحْضَبهَا " [١]، و" الحَطَبُ ـ مُحَرَّكَةً ـ مَعْرُوفٌ...، وَقَالَ ابنُ سِيدَه: الحَطَبُ : مَا أُعِدَّ من الشَّجَرِ شَبُوبًا للنَّارِ، حَطَبَ كضَرَبَ يَحْطِب حَطْبًا وحَطَبًا، والمُخَففُ مَصْدَرٌ، وإِذَا ثُقِّلَ فَهُوَ اسْمٌ"[٢].

والحَاصِبُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَحْمِلُ التُّرَابَ والحَصْبَاءَ، أَو هُوَ مَا تَنَاثَرَ مِن دُقَاقِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ [القمر:٣٤]... أَي عَذَابًا يَحْصِبُهُمْ، أَي يَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، وَقيل: حَاصِبًا، أَي رِيحًا تَقْلَعُ الحَصْبَاءَ لِقُوَّتِهَا، وَهِي صِغَارُهَا وكِبَارُهَا، ...، وَيُقَال لِلرِّيح الَّتِي تَحْمِلُ التُّرَابَ والحَصى: حَاصِبٌ، والحَاصِبُ : السَّحَابُ؛ لأَنَّهُ يَرْمِي بِهِما، أَي الثَّلْجِ والبَرَدِ رَمْيًا [٣].

والحاصل:

لتنوع القراءات في هذا الموضع أثر لغوي يتمثل في الآتي:

١ – نقل التنوع اللهجي الموروث عن العرب صوتيا ودلاليا، أما صوتيا فيتمثل في حذف الصائت تخفيفيا، مما يترتب عليه تقليل المقاطع الصوتية علىٰ هذ النهج:

حَصَبُ حَصْبُ / حَضْب حَضْبُ/ حَطَبُ

صح+ صح+ صح صح ص+ صح

وأما دلاليا فيتمثل في التنوع الأدائي بين لغة اليمن، وأهل النجد، ولغة جمهور العرب.

---

[١] تاج العروس (ح ض ب) ٢/ ٢٨٩.

[٢] تاج العروس (ح ط ب) ٢/ ٢٩٠ وينظر: العين ٣/ ١٧٣.

[٣] تاج العروس (ح ص ب) ٢/ ٢٨٦.

٢- لعل هذا التنوع القرائي يتمثل من خلال قوة أصواته الصاد فالضاد فالطاء مراحل إلقاء هؤلاء المشركين في جهنم.

٣- القراءة بالإسكان للدلالة علىٰ المبالغة، فهم وإن ألقوا في جهنم إلا أنهم صاروا حسب قراءة الإسكان تعبيرا بالمصدر أصل وقود جهنم كما يقال: فلان فخر قومه وزين بلده، مبالغة في المدح.

٤- هذا اللفظ بقراءتي الصاد والضاد المعجمة لم يرد إلا في هذا السياق، سياق المشركين وما يعبدون من دون الله، وهو ما يؤكده سياق سورة الأنبياء.

الموضع السابع:

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[النمل:٢٢]

تنوعت القراءات المتواترة في قوله﴿ فَمَكَثَ ﴾ فَقَرَأَ عَاصِمٌ وَرَوْحٌ بِفَتْحِ الْكَافِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّهَا[١].

وللعلماء في هذا التنوع القرائي قولان:

الأول: وهو قول جمهور اللغويين والمفسرين وعلماء التوجيه أنهما«لغتان مشهورتان: مكَث ومكُث، والمضارع منهما يمكُث، وهذا مثل قولك: خَثَر اللبن وخَثُر فهو خاثر[٢]، وطهَرت المرأة وطهُرت فهي طاهر»[٣]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): « وكلتا القراءتين عندنا صواب؛ لأنهما لغتان مشهورتان» [٤]، وقال السمين(ت٧٥٦هـ): « وهما لغتان، إلاَّ أنَّ الفتحَ أشهرُ، ولذلك جاءت الصفة على ماكِث دون مَكِيْث. واعْتُذِر عنه بأنَّ فاعِلاً قد جاء لفَعُل بالضمِّ نحو: حَمُض فهو حامِض، وخَثُرَ فهو خاثِرٌ، وفَرُهَ فهو فارِهٌ[٥]»[٦].

---

[١] النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٣٧.

[٢] خثر اللَّبن وَنَحْوه خثرا وخثورا وخثرانا ثخن وَغلظ (المعجم الوسيط : خ ث ر) .

[٣] المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ٢/ ٦٤٠ ، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٦ والكشف ٢/ ١٥٥ ، وحجة ابن خالويه ص٢٧٠ ، وحجة أبي زرعة ص٥٢٥ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها ٢/ ٩٥٣ ، وإبراز المعاني ص٦٢٥، والدرة الفريدة في شرح القصيدة ٤/ ٤٧٧ .

[٤] جامع البيان للطبري ١٩/ ٤٤٥ .

[٥] فره فرها بطر وأشر فَهُوَ فره، وفره فراهة وفروهة جمل وَحسن وخف ونشط وحذق وَمهر فَهُوَ فاره (المعجم الوسيط : ف ر هـ) ٢/ ٦٨٦ .

[٦] الدر المصون٨/ ٥٩٣.

قال أبو جعفر(ت٣٨٨هـ): وسمعت علي بن سليمان(ت٣١٥هـ) يقول: الدليل على أن (مكَث) أفصح قولهم ماكث، ولا يقولون: مكُث فهذا مخالف لظرُف. قال أبو جعفر: وهذا احتجاج بيّن لأن فعُل فهو فاعل لا يعرف في كلام العرب إلّا في أشياء مختلف فيها، ومنها ما هو مردود. فأما اللواتي اختلف فيها فطلُقت المرأة فهي طالق، وقد قيل: طلَقت، وحمُض الخلّ فهو حامض، وقد قيل: حمَض. وزعم أبو حاتم(ت٢٥٥هـ): أنّ قولهم فرُه [1] فهو فاره لا اختلاف فيه. كذا قال، وقد حكى غيره: فره يفره فهو فره وفاره مثل حذِر، حكى هذا قطرب(ت٢٠٦هـ)[2].

وقال صاحب حجة القراءات: « وَالِاخْتِيَار ﴿فَمَكَثَ﴾ بِالْفَتْح؛ لِأَن (فعُل) بِالضَّمِّ أَكثر مَا يَأْتِي الِاسْم مِنْهُ على (فعيل) نَحْو ظرُف وكرُم فَهُوَ ظريف وكريم، وَمن (فعَل) بِالْفَتْح يَأْتِي الِاسْم على (فَاعل) تَقول مكث فَهُوَ ماكث، قَالَ الله ﷻ ﴿مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[الكهف:٣]، وَلَا يكون من (فعُل) بِالضَّمِّ (فَاعل) إِلَّا حرف وَاحِد، قَالُوا (فرُه فَهُوَ فاره)، ورد الْأَصْمَعِي(ت٢١٦هـ) مَا سوى هَذَا[3].

وما قاله اللغويون وأصحاب الاحتجاج ذكرته معاجمنا اللغوية، ففي المصباح المنير:" مَكَثَ مَكْثًا مِنْ بَابِ قَتَلَ أَقَامَ وَتَلَبَّثَ فَهُوَ مَاكِثٌ، وَمَكُثَ مُكْثًا فَهُوَ مَكِيثٌ مِثْلُ قَرُبَ قُرْبًا فَهُوَ قَرِيبٌ لُغَةٌ وَقَرَأَ السَّبْعَةُ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ

---

[1] فَرُهَ، كَكَرُمَ، فَرَاهَةً وَفَرَاهِيَةً: حَذَقَ، هُوَ فَارِهٌ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: نَادِرٌ مِثْل حَمُضَ فَهُوَ حَامِضٌ، وَقِيَاسُهُ فَرِيَهٌ وَحَمِيضٌ، مِثْلُ صَغُرَ فَهُوَ صَغِيرٌ وَمَلُحَ فَهُوَ مَلِيحٌ (تاج العروس: ف ر هـ).

[2] إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٩.

[3] حجة القراءات ص٥٢٥.

بَعِيدٍ﴾[النمل: ٢٢] بِاللُّغَتَيْنِ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَمْكَثَهُ وَتَمَكَّثَ فِي أَمْرِهِ إِذَا لَمْ يَعْجَلْ فِيهِ"[1]، " وَيُقَال: المُكْثُ: الإِقَامَةُ مَعَ الانْتِظَار والتَّلَبُّثِ فِي المَكَان، والفِعْلُ كنَصَرَ وكَرُمَ، قَالَ الله ﷻ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢] قَالَ الفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ): قَرَأَها النّاسُ بالضّم، وقرأَها عاصِمٌ بالفَتْح، وَمعنى ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: غيرَ طَوِيلٍ من الإِقَامَةِ، قَالَ أَبو مَنْصُور(ت٣٧٠هـ): اللُّغَة العَالِيَة مَكُثَ، وَهُوَ نادرٌ، ومَكَثَ جائِزَةٌ، وَهُوَ القياسُ"[2] [3].

وَالضَّمِيرُ فِي قوله﴿ فَمَكَثَ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِسُلَيْمَانَ، وَالْمَعْنَى: بَقِيَ سُلَيْمَانُ بَعْدَ التَّفَقُّدِ وَالْوَعِيدِ غَيْرَ طَوِيلٍ أَيْ غَيْرَ وَقْتٍ طَوِيلٍ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لِلْهُدْهُدِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ، فَجَاءَ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[النمل:٢٢] [4].

الثاني: تنوع المعنى لتنوع الحركة البنائية، يقول البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿فَمَكَثَ﴾ أي فترتب على ذلك أنه مكث بعد الحلف بالتهديد زمانًا قريبًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ من زمان التهديد، وأتى خوفًا من هيبة سليمان عليه السلام، وقيامًا بما يجب عليه من الخدمة، قرأه عاصم وروح عن يعقوب بفتح الكاف على الأغلب في الأفعال الماضية، وضمه الجماعة إشارة إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام ليوافق إفهام حركة الكلمة

---

[1] المصباح المنير (م ك ث)٢/ ٥٧٧.

[2] تاج العروس (م ك ث) .

[3] وإنما أطلت في نقل هذه النصوص لعلمائنا القدامى لأوكد على صنع الجمهور وأبرز ما تفرد به السهيلي كما سيأتي.

[4] الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٨٠.

ما أفهمه تركيب الكلام"[١].

فقراءة الفتح دالة على التلبث بالمكان، وقراءة الضم دالة على شدة الغيبة؛ " إِذْ كَانَتْ أَقْوَى الْحَرَكَاتِ هِيَ الضَّمَّةَ؛ وَأَخَفُّهَا الْفَتْحَةَ؛ وَالْكَسْرَةُ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَهُمَا؛ فَجَاءَتْ اللُّغَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُعْرَبَةِ وَالْمَبْنِيَّةِ" [٢]، لكن الشهاب الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ) لم يرتض ما أشار إليه البقاعي (ت٨٨٥هـ) فقال:" قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ بيان لمقدار ما مضى من غيبته بعد التهديد، وقراءة غير عاصم بضم الكاف وهما لغتان فيه، فكون الضم دالاً على شدة غيبته لتوافق الحركة معناه لا وجه له" [٣].

وإذا كان جمهور العلماء على أنهما لغتان، فإن العلامة السهيلي يرى تنوعا في المعنى، يقول:

" والعدول باللفظ عن أصله إلى وزن ما هو في معناه كثير في كلامهم، وأصل صحيح في أغراضهم، قالوا: ناقة عائذ، إذا عاذ بها فصيلها؛ لأنها في معنى عاطف، وفي التنزيل ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾ [الفتح:٢٥] وعكف لا تتعدى، ولكنه في معنى محبوس وهو في معنى عاكف، فعدلوا عن لفظ عاكف[٤]، وقالوا: مكَث فهو ماكث، إذا أرادوا معنى سكن وخلد، وإذا دخل

---

[١] نظم الدرر١٤/ ١٥٠.

[٢] مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٢١).

[٣] حاشية الشهاب ٧/ ٤٠ .

[٤] الْمَعْكُوفُ: اسْمُ مفعول عكفه، إِذْ أَلْزَمُهُ الْمُكْثُ فِي مَكَانٍ، يُقَالُ: عَكَفَهُ فَعَكَفَ فَيُسْتَعْمَلُ قَاصِرًا وَمُتَعَدِّيًا عَنِ ابْنِ سِيدَهْ وَغَيْرِهِ كَمَا يُقَالُ: رَجَعَهُ فَرَجَعَ وَجَبَرَهُ فَجَبَرَ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: لَا أَعْرِفُ عَكَفَ مُتَعَدِّيًا، وَتَأَوَّلَ صِيغَةَ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَعْكُوفًا﴾ عَلَى أَنَّهَا لِتَضْمِينِ عَكَفَ مَعْنَى حَبَسَ.(التحرير والتنوير

الكلام معنى بطؤ قالوا: مكُث، وفي التنزيل ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل:٢٢] عليه أكثر القراء، وحين أرادوا معنى الخلود قالوا : مكَث، في التنزيل ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[الزخرف:٧٧]"[1].

وهكذا فإن قراءة الفتح مع دلالتها على الأصل اللغوي تشير إلى معنى السكون والخلود الذي أحاط بالهدهد غير خائف من الوعيد الذي توعده به نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ وقراءة الضم تشير إلى البطء الذي كان يصاحب الهدهد حين انحطاطه من الطير، وسليمانُ ـ عليه السلام ـ وجنوده في انتظاره، ويؤيد ذلك ما يأتي:

١ ـ قال ابن عاشور:" وَالْمُكْثُ: الْبَقَاءُ فِي الْمَكَانِ وَمُلَازَمَتُهُ زَمَنًا مَا، وَفِعْلُهُ مِنْ بَابِ كَرَمَ وَنَصَرَ.... وَأُطْلِقَ الْمُكْثُ هُنَا عَلَى الْبُطْءِ لِأَنَّ الْهُدْهُدَ لَمْ يَكُنْ مَاكِثًا بِمَكَانٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ يطير وينتقل، فَأطلق الْمُكْثِ عَلَى الْبُطْءِ مَجَازٌ مُرْسَلٌ لِأَنَّ الْمُكْثَ يَسْتَلْزِمُ زَمَنًا، و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ صِفَةٌ لِاسْمِ زَمَنٍ أَوِ اسْمِ مَكَانٍ مَحْذُوفٍ مَنْصُوبٍ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، أَيْ مَكَثَ زَمَنًا غَيْرَ بَعِيدٍ، أَوْ فِي مَكَانٍ غَيْرِ بَعِيدٍ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ يَقْتَضِي أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى سُلَيْمَانَ بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ، و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قَرِيبٌ قُرْبًا يُوصَفُ بِضِدِّ الْبُعْدِ، أَيْ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا، وَهَذَا وَجْهُ إِيثَارِ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ لِأَنَّ ﴿غَيْرَ﴾ تُفِيدُ دَفْعَ تَوَهُّمِ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا، وَإِنَّمَا يُتَوَهَّمُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْقُرْبُ يُشْبِهُ الْبُعْدَ" [2].

٢ـ السياق القرآني، حيث ورد اسم الفاعل من (مَكَثَ) في موضعين دالا

(٢٦/ ١٨٧) .

[1] أمالي السهيلي ص٧٣، ٧٤ .

[2] التحرير والتنوير ١٩/ ٢٤٨ .

على طول المكث وسكون صاحبه، قال تعالى: ﴿ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف:٣] أَيْ مُقِيمِينَ فِيهِ، فَجَعَلَهُ ظَرْفًا لِإِقَامَتِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ الْمُكْثُ لَا يَقْتَضِي التَّأْبِيدَ قَالَ﴿ أَبَدًا ﴾ وَهُوَ ظَرْفٌ دَالٌّ عَلَى زَمَنٍ غَيْرِ مُتَنَاهٍ، [1] وَالْمُكْثُ: الِاسْتِقْرَارُ فِي الْمَكَانِ، شَبَّهَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّذَّاتِ وَالْمُلَائِمَاتِ بِالظَّرْفِ الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ حَالُهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْأَجْرَ الْحَسَنَ كَالْمُحِيطِ بِهِمْ لَا يُفَارِقُهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَلَيْسَ قَوْلُهُ﴿ أَبَدًا ﴾ بِتَأْكِيدٍ لِمَعْنَى ماكِثِينَ بَلْ أُفِيدَ بِمَجْمُوعِهَا الْإِحَاطَةُ وَالدَّوَامُ[2]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾[الزخرف:٧٧] أَيْ مُقِيمُونَ فِي النَّارِ لَا تَبْرَحُونَ[3].

٣ ـ النظير اللغوي الذي ذكره السهيلي لتأصيل رأيه هو قوله تعالى ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا ﴾[الفتح:٢٥] حيث إن (عكف) لا يتعدى، ولكنه في معنى محبوس وهو في معنى عاكف، فعدلوا عن لفظ عاكف، وَالْمَعْكُوفُ: اسْمُ مفعول عكفه، إِذْ أَلْزَمُهُ الْمُكْثُ فِي مَكَانٍ، يُقَالُ: عَكَفَهُ فَعَكَفَ فَيُسْتَعْمَلُ قَاصِرًا وَمُتَعَدِّيًا عَنِ ابْنِ سِيدَهْ(ت٤٥٨هـ) [4] وَغَيْرِهِ كَمَا يُقَالُ: رَجَعَهُ فَرَجَعَ وَجَبَرَهُ فَجَبَرَ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ(ت٣٧٧هـ): لَا أَعْرِفُ عَكَفَ مُتَعَدِّيًا، وَتَأَوَّلَ صِيغَةَ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿مَعْكُوفًا ﴾ عَلَى أَنَّهَا لِتَضْمِينِ عَكَفَ

---

[1] البحر المحيط (٧/ ١٣٧) .

[2] التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٠) .

[3] البحر المحيط (٩/ ٣٨٩) .

[4] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (ع ك ف) ١/ ٢٨٣ .

مَعْنَى حَبَسَ[١]، وفي الجامع لأحكام القرآن " لَا نَعْلَمُ (عَكَفَ) جَاءَ مُتَعَدِّيًا، وَمَجِيءُ ﴿مَعْكُوفًا﴾ فِي الْآيَةِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَحْمُولًا عَلَى الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ حَبْسًا حُمِلَ الْمَعْنَى على ذلك، كما حمل الرَّفَثُ عَلَى مَعْنَى الْإِفْضَاءِ فَعُدِّيَ بِإِلَى"[٢] في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

[١] التحرير والتنوير (٢٦/ ١٨٧) وقال السمين: "وأنكر الفارسيُّ تعديةَ «عَكَفَ» بنفسِه وأثبتَها ابنُ سيده والأزهريُّ وغيرُهما، وهو ظاهرُ القرآنِ لبناء اسمِ المفعول منه " الدر المصون (٩/ ٧١٦) .

[٢] الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٨٤) .

الموضع الثامن:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف:٥٧]

قال السهيلي تعقيبا على قول ابن اسحاق:

" ونزّل فيما ذكر من أمر عيسى بن مَرْيَمَ أَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وَعَجَبِ الْوَلِيدِ، وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ حُجّتِهِ وَخُصُومَتِهِ: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف:٥٧] أَيْ: يَصُدّونَ عَنْ أَمْرِك بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ":" فسر ابن إسحق قَوْلَهُ: ﴿يَصُدّونِ﴾، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿يَصِدُّونَ ﴾ فَمَعْنَاهُ: يَعْجَبُونَ"[1].

في هذا الكلام يلحظ أن السهيلي يرى أن التغيرات الصوتية في الأبنية الصرفية لها أثر دلالي، وذلك أنه قد تنوعت القراءات المتواترة في قوله تعالى﴿يَصِدُّونَ ﴾ "فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ، وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ بِكَسْرِ الصَّادِ، والْبَاقُونَ بِضَمِّهَا"[2].

وكان للغويين في هذا التنوع القرائي أربعة أقوال:

القول الأول: أنهما لغتان بمعنى يَضِجُّون[3]، قال الزجاج (ت٣١١هـ):" ﴿يَصِدُّونَ ﴾ ويقرأ ﴿يَصُدّونِ﴾ – بضم الصاد – والكسر

---

[1] الروض الأنف٣/ ٣١٩.

[2] تقريب النشر في القراءات العشر ٢/ ٦٨١.

[3] ينظر: شرح الهداية لأبي العباس المهدوي ٢/ ٥٠٩ والدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين الهمذاني ٥/ ٨٣.

أكثر، ومعناهما جميعـًا يضجُّونَ"[١]، وقال الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ):" وصدّ يصُدّ ويصِدّ، أي ضَجّ" [٢].

القول الثاني: أنهما لغتان بمعنى الصدود، وهو الإعراض أو يصدون غيرهم [٣]، قَالَ الْكِسَائِيُّ(ت١٨٩هـ): هُمَا بِمَعْنًى، نَحْوَ: يَعْرِشُونَ ويعرُشُون، ويعكِفُون وَ يَعْكُفُونَ [٤]، وقال الفراء(ت٢٠٧هـ):" العرب تَقُولُ: يصِد ويصُد، مثل: يشِد ويشُد، وينِم وينُم من النميم. يصدون مِنْهُ وعنه سواء" [٥].

والمعجم العربي يؤيد هذين القولين، فـ" الصَّادُ وَالدَّالُ مُعْظَمُ بَابِهِ يؤول إِلَى إِعْرَاضٍ وَعُدُولٍ، وَيَجِيءُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلِمَاتٌ تَشِذُّ، فَالصَّدُّ: الْإِعْرَاضُ، يُقَالُ: صَدَّ يَصُدُّ، وَهُوَ مَيْلٌ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ... وَمِمَّا هُوَ صَحِيحٌ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، قَوْلُهُمْ: صَدَّ يَصِدُّ، وَذَلِكَ إِذَا ضَجَّ"[٦]، و" صَدّ عَنْه يصُدُّ ويَصِدُّ صَدًّا وصُدُوداً، كقُعودٍ : أَعرَضَ .... و يُقَال: صَدَّ فُلانـًا عَن كَذَا صَدًّا، إِذا مَنَعَهُ وصَرَفَهُ عَنهُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [النمل:٤٣] أَي صَدَّهَا كونُها... من قَوْمٍ كافِرِينَ عَن الإِيمان....وصَدَّ يصُدُّ، بالضّمّ، ويَصِدُّ، بِالْكَسْرِ، صَدًّا و صَدِيداً : عَجَّ و ضَجَّ...، فإِذا كَانَ المعنَى يَضِجُّ ويَعِجُّ فالوَجْهُ الجَيِّدُ صَدَّ يَصِدُّ، مثل ضَجّ يَضِجُّ" [٧].

---

[١] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٤١٦.

[٢] بصائر ذوي التمييز ٣/ ٣٩٠.

[٣] الدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين الهمذاني ٥/ ٨٣.

[٤] مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦٣٩.

[٥] معاني القرآن للفراء ١/ ٦٨٠.

[٦] مقاييس اللغة (ص د د) ٣/ ٢٨٢.

[٧] تاج العروس (ص د د).

والصد: هُوَ الْعُدُول عَن الشَّيْء عَن قلى، يسْتَعْمل لَازِما بِمَعْنى الِانْصِرَاف والامتناع ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ﴾ [النساء:٦١] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[النحل:٨٨]، ومتعديا بِمَعْنى الصّرْف وَالْمَنْع الَّذِي يطاوعه الِانْصِرَاف والامتناع ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٨٧] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح:٢٥]، وَنَظِير صد: صدف: حَيْثُ يسْتَعْمل لَازِما بِمَعْنى أعرض، ومتعديا بِمَعْنى صدف غَيره، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[الأنعام:١٥٧]، وَالْآيَة مُحْتَملَة لَهَا كآية ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾[النساء:٥٥] [١].

قال الطبري (ت٣١٠هـ):" والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضم والكسر، ولو كان مختلفا معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضجون ويجزعون، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب" [٢].

القول الثالث: أَن صَدَّ اللازِمَ، سواءٌ كَانَ بِمَعْنى ضَجَّ أَو أَعرَضَ، فمضارِعُهُ بالوَجْهَيْن، الْكسر على القِيَاس، والضمّ على الشُّذوذ[٣]، قال الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ):" اعْلَمْ أَنَّ «صَدَّ» تُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ اسْتِعْمَالَيْنِ:

---

[١] الكليات ص٢٨.

[٢] جامع البيان للطبري ٢١/ ٦٢٦.

[٣] تاج العروس (ص د د).

أَحَدُهُمَا: أَنْ تُسْتَعْمَلَ مُتَعَدِّيَةً إِلَى الْمَفْعُولِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح:٢٥]، وَمُضَارِعُ هَذِهِ الْمُتَعَدِّيَةِ «يَصُدُّ» بِالضَّمِّ عَلَى الْقِيَاسِ، وَمَصْدَرُهَا «الصَّدِّ» عَلَى الْقِيَاسِ أَيْضًا.

وَالثَّانِي: أَنْ تُسْتَعْمَلَ «صَدَّ» لَازِمَةً غَيْرَ مُتَعَدِّيَةٍ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَمَصْدَرُ هَذِهِ «الصُّدُودُ» عَلَى الْقِيَاسِ، وَفِي مُضَارِعِهَا الْكَسْرُ عَلَى الْقِيَاسِ، وَالضَّمُّ عَلَى السَّمَاعِ "[1].

القول الرابع: يتنوع المعنى تبعا لاختلاف القراءة، قال قطرب(ت٢٠٦هـ): من كسرها: أراد يَضِجُّونَ، ومن ضمها أراد الصُّدُود عن الحقّ[2]، وقال أبو عبيدة(ت٢١٠هـ): من كسر الصاد، فمجازها: يَضِجُّون، ومن ضمَّها، فمجازها: يَعْدِلون[3]، أَيْ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَثَلِ يَصُدُّونَ عَنِ الْحَقِّ وَيُعْرِضُونَ عَنْهُ [4]، وبالكسر أي: يَصِيحُونَ وَيَرْتَفِعُ لَهُمْ حَمِيَّةٌ بِضَرْبِ الْمَثَلِ[5].

وهذا الأخير هو ما قال به شيخنا السهيلي، حيث جعل قراءة الضم بمعنى الإعراض والعدول عن الحق، وقراءة الكسر بمعنى يعجبون و" يعجّون ويَضِجُّونَ ويَضْحَكُونَ" [6] ويصيحون.

ولعل هذا القول هو الراجح للأسباب الآتية:

١ـ الأصل فِي اخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ الْمُتَوَاتِرَةِ أن يكون" تَوْفِيرًا لِمَعَانِي

---

[1] أضواء البيان ٢/ ٤٢٥.

[2] جامع البيان للطبري ٢١/ ٦٢٦ و الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٣.

[3] مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥ وزاد المسير٤/ ٨١.

[4] مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦٣٩.

[5] البحر المحيط ٩/ ٣٨٥.

[6] الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٣.

الْآيَةِ غَالِبًا، فَيَقُومُ تَعَدُّدُ الْقِرَاءَاتِ مَقَامَ تَعَدُّدِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ"[1]، وهو أن يكون مجموع القراءتين -وكلتاهما قرآن-دالًّا على معنيين في لفظ واحد، متلاقيين غير متضادين .. وقد يكون اختلاف القراءة فيه كمال التوضيح البياني من غير قصور في إحداهما، ولكن بالقراءتين يكون البيان كاملًا[2].

فقراءة الضم بِمَعْنَى يَصُدُّونَ غَيْرَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَقراءة الكسر بِمَعْنَى صُدُودِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَاصِلٌ مِنْهُمْ، وَهِيَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ لَهَا مَزِيدُ تَعَلُّقٍ بِالتَّفْسِيرِ لِأَنَّ ثُبُوتَ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ فِي قِرَاءَةٍ قَدْ يُبَيِّنُ الْمُرَادَ مِنْ نَظِيرِهِ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَىٰ، أَوْ يُثِيرُ مَعْنًى غَيْرَهُ[3].

٢ـ **السياق الخارجي**: قال أبو جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ) :" مَنْ قَرَأَهَا بِالضَّمِّ أَرَادَ الصُّدُودَ، وَمَنْ قَرَأَهَا بِالْكَسْرِ أَرَادَ الضَّجِيجَ، وَإِنَّمَا كَانَ نُزُولُهَا عِنْدَ ضَجِيجِ الْمُشْرِكِينَ" [4]، فعَنْ أَبِي يَحْيَى، مَوْلَى ابْنِ عُقَيْلٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ: لَقَدْ عُلِّمْتُ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَمَا أَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا، فَيَسْأَلُوا عَنْهَا؟ ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا، فَلَمَّا قَامَ، تَلاوَمْنَا أَنْ لَا نَكُونَ سَأَلْنَاهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ غَدًا، فَلَمَّا رَاحَ الْغَدَ، قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، ذَكَرْتَ أَمْسِ أَنَّ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَلا تَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا؟ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْهَا، وَعَنِ اللاتِي قَرَأْتَ قَبْلَهَا. قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: " يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ

---

[1] التحرير والتنوير ١/ ٥٦.

[2] المعجزة الكبرى القرآن: لأبي زهرة ص٤٢.

[3] التحرير والتنوير ١/ ٥٥.

[4] شرح مشكل الآثار ٣/ ١٨.

أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ " وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ صَالِحًا، فَلَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكَمَا تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضِجُّونَ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[الزخرف: ٦١]، قَالَ: هُوَ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ـ عليه السلام ـ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ [1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ لَا يَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْهَا وَلَا أَدْرِي أَعَرَفُوهَا فَلَا يَسْأَلُونِي عَنْهَا أَمْ جَهِلُوهَا فَلَا يَسْأَلُونِي عَنْهَا؟ قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: آيَةٌ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَقَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا فَقَامَ ابْنُ الزِّبَعْرَى[2] فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَدُعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: يَا مُحَمَّدُ هَذَا شَيْءٌ لِآلِهَتِنَا خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ

---

[1] مسند أحمد (٥/ ٨٥/ ٢٩١٧)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عاصم-وهو ابن أبي النجود- فقد روى له أصحاب السنن، وحديثه في الصحيحين مقرون، وهو صدوق حسن الحديث.

[2] عَبْد اللهِ بْن الزبعري بْن قيس القرشي السهمي الشاعر، ...كان من أشد الناس عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ في الجاهلية، وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين، وكان من أشعر قريش.. ثم أسلم عَبْد اللهِ بعد الفتح وحسن إسلامه (أسد الغابة ٣/ ٢٣٩).

اللهِ؟ قَالَ: " بَلْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ " قَالَ: فَقَالَ: خَصَمْنَاهُ وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ، يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ وَعُزَيْرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، وَالْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ صَالِحُونَ، قَالَ: " بَلَى "، قَالَ: فَهَذِهِ النَّصَارَى يَعْبُدُونَ عِيسَى وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا وَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] [(١)].

وبناء على هذا فإن السياق الخارجي أبان عن حال هؤلاء حينما ضَرَبَ ابْنُ الزِّبَعْرَى الْمَذْكُورُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إذ فَاجَأَ المشركون محمدا ﷺ بِالضَّجِيجِ وَالصِّيَاحِ وَالضَّحِكِ، فَرَحًا مِنْهُمْ وَزَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ ابْنَ الزِّبَعْرَى خَصمه، وهذا ما أشارت إليه قراءة الكسر، ثم فاجأ محمدا ^ صُدُودُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَثَلِ وإعراضهم عن هذا الحق البين، وهو ما أشارت إليه قراءة الضم.

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي ضربه ضارب منهم ﴿مَثَلًا﴾ لآلهتهم ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي الذين أعطيناهم قدرة على القيام بما يحاولونه ﴿مِنْهُ﴾ أي ذلك المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ أي يضجون ويعلون أصواتهم سروراً بأنهم ظفروا على زعمهم بتناقض، فيعرضون به عن إجابة دعائك، يقال: صد عنه صدوداً: أعرض، وصد يصد ويصد: ضج – قاله في

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٥/ ٩٨٦) وانظر: صحيح السيرة النبوية ص١٩٨.

القاموس[١]، فلذلك قال ابن الجوزي[٢]: معناهما جميعًا - أي قراءة ضم الصاد وقراءة كسرها - يضجون، ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يعرضون" [٣].

٣ ـ **السياق اللغوي**، حيث احْتج بعض النَّاس لقراءة الْكسر وَأَنها بِمَعْنى الضجيج بِصُحْبَة﴿ مِنْهُ﴾ للْفِعْل، وَلَو كَانَ بِمَعْنى الصدود كَانَ الْأَفْصَح أَن يصحب الْفِعْل (عَنهُ) لَا﴿مِنْهُ﴾؛ لِأَن المستعمل من الْكَلَام صد عَنهُ لَا صد مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ الْكَلَام ﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ دلّ على أَنه عَن الصدود بمعزل وَأَنه بِمَعْنى الضجيج، وَلَو كَانَ من الصدود لكَانَتْ إِذا قَوْمك عَنهُ يصدون أَو مِنْهُ يصدون عَنْك [٤]، كَمِثْلِ مَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحج:٢٥]. وَكَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾ [سورة محمد:١]. وَكَمَا قَالَ ﷻ:﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة الرعد:٣٣].وَكَمَا قَالَ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [سورة الفتح:٢٥][٥].

٤ ـ **النظير القرائي المتفق عليه**؛ حيث ورد هذا الفعل مضارعا بضم الصاد متعديا بـ (عن) في معنى الإعراض في عشرة مواضع، ولم ترد قراءة متواترة في أيٍّ منها بالكسر، وهاك المواضع حسب ترتيبها في القرآن الكريم:

---

[١] قال في القاموس:" صَدَّ عنه صُدوداً: أعْرَضَ، وفلانـًا عن كذا صَدًّا: مَنَعَهُ، وصَرَفَهُ، كأَصَدَّهُ، وصَدَّ يَصُدُّ ويَصِدُّ صَديداً: ضَجَّ " (القاموس المحيط: فصل الصاد، باب الدال ١/ ٢٩٢).

[٢] زاد المسير ٤/ ٨١ .

[٣] نظم الدرر ١٧/ ٤٥٥.

[٤] حجة القراءات ص٦٥٢.

[٥] شرح مشكل الآثار ٣/ ١٨.

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[النساء:٦١]

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف:٤٥]

- ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ [الأنفال:٣٤]

- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال:٤٧]

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣٤]

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [هود:١٩]

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[إبراهيم:٣]

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾[الحج:٢٥]

- ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٣٧]

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[المنافقون:٥]

وكلها –كما ترى–في سياق الإعراض لا الضجيج أو الاستهزاء أو

الضحك

٥ ـ ولعل لغة القرآن في هذه المواضع تبين لنا سبب إنكار ابن عباس ـ ﷺ ـ لقراءة الضم، فقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنْكَارُهُ فِي قِرَاءَةِ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾ بِالضَّمِّ ... عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَعْبَدٍ[١] قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ(ت٦٨هـ): " عَمُّكَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ [٢] كَيْفَ يَلْحَنُ فِي هَذَا؟ يَقْرَأُ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّون﴾، وَإِنَّمَا هِيَ ﴿يَصِدُّونَ﴾ [النساء: ٦١] : يَضِجُّونَ "فَأَخْبَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِحَقِيقَةِ الْقِرَاءَةِ لِهَذَا الْحَرْفِ كَيْفَ هِيَ[٣]،وَلَا يَكُونُ إِنْكَارُهُ إِلَّا قَبْلَ بُلُوغِهِ تَوَاتُرَهَا [٤].

التنوع التركيبي للقراءتين:

تتنوع القراءتان تركيبيا من خلال ما يأتي:

١ ـ (مِنْ) في قراءة الكسر مُتَّصِلَةٌ بِـ﴿يَصِدُّونَ﴾ وَالْمَعْنَى يَضِجُّونَ منه[٥]، ومن ذهب في ﴿يَصِدُّونَ﴾إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك

---

[١] التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٥١٢ .

[٢]عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرِ بنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيُّ الجُنْدَعِيُّ المَكِّيُّ، الوَاعِظُ، المُفَسِّرُ، وُلِدَ: فِي حَيَاةِ رَسُوْلِ اللهِ - ﷺ- وَحَدَّثَ عَنْ: أَبِيْهِ. وَعَنْ: عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَعَلِيٍّ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَطَائِفَةٍ ... وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِيْنَ وَأَئِمَّتِهِم بِمَكَّةَ، وَكَانَ يُذَكِّرُ النَّاسَ، فَيَحْضُرُ ابْنُ عُمَرَ -ﷺ- مَجْلِسَهُ. ... تُوُفِّيَ: قَبْلَ ابْنِ عُمَرَ بِأَيَّامٍ يَسِيْرَةٍ، وَقِيْلَ: تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِيْنَ. (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦) .

[٣] شرح مشكل الآثار ٣/ ١٨ .

[٤] البحر المحيط ٩/ ٣٨٥.

[٥] الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٣ .

منه أي: من أجل المثل يصدّون، ولم يوصل ﴿يَصِدُّونَ﴾ بمن [١].

٢ـ الظَّاهِرُ أَنَّ لَفْظَةَ (مِنْ) هُنَا سَبَبِيَّةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ يَذْكُرُونَ أَنَّ مِنْ مَعَانِي (مِنْ) السَّبَبِيَّةَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح:٢٥] أَيْ بِسَبَبِ خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَالِفِينَ فِي أَيْمَانِ الْقَسَامَةِ: أُقْسِمَ بِالله لَمِنْ ضَرْبِهِ مَاتَ [٢].

٣ـ ﴿يَصِدُّونَ﴾ بِضَمِّ الصَّادِّ مِنَ الصُّدُودِ إِمَّا بِمَعْنَى الْإِعْرَاضِ، وَالْمُعْرَضُ عَنْهُ مَحْذُوفٌ لِظُهُورِهِ مِنَ الْمَقَامِ، أَيْ يُعْرِضُونَ عَنِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُمْ أَوْهَمُوا بِجَدَلِهِمْ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ تَنَاقُضًا، وَإِمَّا عَلَى أَنَّ الضَّمَّ لُغَةٌ فِي مُضَارِعِ صَدَّ بِمَعْنَى ضَجَّ مِثْلُ لُغَةِ كَسْرِ الصَّادِ ... وَهُوَ الصَّدُّ بِمَعْنَى الضَّجِيجِ وَالصَّخَبِ. وَالْمَعْنَى: إِذَا قُرَيْشٌ قَوْمُكَ يَصْخَبُونَ وَيَضِجُّونَ مِن احْتِجَاجِ ابْنِ الزِّبَعْرَى بِالْمَثَلِ بِعِيسَى فِي قَوْلِهِ، مُعْجَبِينَ بِفَلْجِهِ وَظُهُورِ حُجَّتِهِ لِضَعْفِ إِدْرَاكِهِمْ لِمَرَاتِبِ الِاحْتِجَاجِ[٣].

---

[١] الحجة لأبي علي ٦/ ١٥٥.

[٢] أضواء البيان ٧/ ١٢٣.

[٣] التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٣٨.

المبحث الثاني

الاحتجاج بالقراءات

قرر اللغويون أنّ «كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه »[١]، وقد احتج السهيلي بالقراءات متواترة وشاذة في كل مستويات اللغة، وهذا ما يظهر من خلال الآتي:

أولا: المستوى الصوتي

الموضع الأول: التهميز[٢]:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ صَفْوَانَ بْنَ الْمُعَطَّلِ اعْتَرَضَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ بِالسَّيْفِ، حِينَ بَلَغَهُ مَا كَانَ يَقُولُ فِيهِ، وَقَدْ كَانَ حَسَّانُ قَالَ شِعْرًا مَعَ ذَلِكَ يُعَرِّضُ بِابْنِ الْمُعَطَّلِ فِيهِ، وَبِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ الْعَرَبِ مِنْ مُضَرَ، فَقَالَ:

أَمْسَىٰ الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ ... وَابْنُ الْفُرَيْعَةَ أَمْسَىٰ بَيْضَةَ الْبَلَدِ[٣]

إلى أن قال:

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيَّةً ... فَيَغْطَئِلُ وَيَرْمِي الْعِبْرَ بِالزَّبَدِ[٤]

قال السهيلي:

---

[١] الاقتراح ص ١٥، ١٦.

[٢] ينظر هذا المصطلح ودلالته في كتاب أستاذنا الدكتور/ أحمد طه حسانين سلطان ¬: الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية ص١٠١ ـ ١١٤.

[٣] الجلابيب: الغرباء، و ابن الفريعة: يعني نفسه، والفريعة أمه، و بيضة البلد: تعني العظيم في قومه أو الذليل الذي ليس معه أحد.

[٤] سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٥.

« وَقَوْلُهُ:(فَيَغْطَئِلُ)، يُرِيدُ: الْبَحْرَ أَيْ، يَهِيجُ وَيَعْتَلِمُ [1]، وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ الْغَيْطَلَةِ، وَهِيَ الظّلْمَةُ، وَأَصْلُهَا يَغْطَالّ مِثْلَ يَسْوَادّ، لَكِنّهُ هَمَزَ الْأَلِفَ لِئَلّا يَجْتَمِعَ سَاكِنَانِ، وَإِنْ كَانَ اجْتِمَاعُهُمَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ حَسَنًا كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، وَلَكِنّهُمَا فِي الشّعْرِ لَا يَجْتَمِعَانِ إلّا فِي عُرُوضٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ الْمُتَقَارِبُ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ قَرَأَ أَيّوبُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ كَيْسَانُ السّخْتِيَانِيّ (٦٦ - ١٣١هـ) [2]﴿ وَلَا الضّآلّينَ ﴾ بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ، وَقَرَأَ عَمْرُو بن عُبَيْدٍ[3]:(﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦،٧٤]،... فَإِنْ قِيلَ: الْهَمْزَةُ فِي هَذَا كُلّهِ مَفْتُوحَةٌ، وَفِي قَوْلِهِ يَغْطَئِلّ مكسورة، وكذلك في الحديث الصحيح: « أَسْوَدُ مُرْبَئِدّ»[4] فِي

---

[1] اعتلم الماء: سال على الأرض. تاج العروس (ع ل م)

[2] أَيُّوْبُ السِّخْتِيَانِيُّ...الإِمَامُ، الحَافِظُ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ، أَبُو بَكْرٍ بنُ أَبِي تَمِيْمَةَ كَيْسَانَ العَنَزِيُّ ... عِدَادُه فِي صِغَارِ التَّابِعِيْنَ.... قال الجَعْدُ أَبُو عُثْمَانَ، سَمِعْتُ الحَسَنَ يَقُوْلُ: أَيُّوْبُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ البَصْرَةِ. (سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥) .

[3] عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري، وردت عنه الرواية في حروف القرآن روى الحروف عن الحسن البصري وسمع منه، روى عنه الحروف بشار بن أيوب الناقد، مات في ذي الحجة سنة أربع وأربعين ومائة (غاية النهاية ١/ ٦٠٢) .

[4] صحيح مسلم(١/ ١٢٨/ ١٤٤) وتمامه: عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ، يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ، يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ

رِوَايَةٍ.

قُلْنَا: إنّمَا كُسِرَتْ الْهَمْزَةُ فِي مربئدّ وَيَغْطَئِلّ، بَعْدَ أَنْ فُتِحَتْ فِي الْمَاضِي، فَقِيلَ: اغْطَأَلّ، فَصَارَ عَلَى وَزْنِ اطْمَأَنّ، فَجَاءَ اسْمُ الْفَاعِلِ وَالْمُسْتَقْبَلِ عَلَى ذَلِكَ الْقِيَاسِ مَكْسُورًا كَمَا يُكْسَرُ فِي مُطْمَئِنّ » [1].

احتج السهيلي بالقراءة الشاذة لبيان لفظة واردة في شعر حسان بن ثابت ـ ﷺ ـ وهي (فَيَغْطَئِلّ)، واغْطَأَلَّ: رَكِبَ بَعْضُه بَعْضًا[2].

نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ» قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا».

قال النووي(ت٦٧٦ هـ):" وَأَمَّا قَوْلُهُ (مُرْبَادًّا) فَكَذَا هُوَ فِي رِوَايَتِنَا وَأُصُولِ بِلَادِنَا وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ ﷺ خِلَافًا فِي ضَبْطِهِ وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ ضبطه كما ذَكَرْنَاهُ وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ (مُرْبَئِدٌ) بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ بَعْدَ الْبَاءِ. قَالَ الْقَاضِي: وَهَذِهِ رِوَايَةُ أَكْثَرِ شُيُوخِنَا، وَأَصْلُهُ أَنْ لا يُهْمَزَ وَيَكُونُ مُرْبَدٌّ مِثْلُ مُسَوَّدٌ وَمُحْمَرٌّ ، وَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْهَرَوِيُّ وَصَحَّحَهُ بَعْضُ شُيُوخِنَا عَنْ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ سَرَّاجٍ لِأَنَّهُ مِنَ ارْبَدَّ إِلَّا عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ احْمَأَرَّ بِهَمْزَةٍ بَعْدَ الْمِيمِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ فَيُقَالُ ارْبَأَدَّ وَمُرْبَئِدٌّ وَالدَّالُ مُشَدَّدَةٌ عَلَى الْقَوْلَيْنِ " (شرح النووي على مسلم ٢/ ١٧٣).

[1] الروض الأنف٦/ ٤٤٢ .

[2] تاج العروس (غ ط ل) وكتاب الأفعال٢/ ٤٤٩ .

ويلحظ من كلام السهيلي أمور:

الأول: عزو القراءة الشاذة في موضع الفاتحة إلى أيوب السختياني، وفي موضع الرحمن إلى عمرو بن عبيد، وهذا ما يتفق مع ما ذكرتْه كتب الشواذ[١].

الثاني: ضبط السهيلي القراءة بالهمزة المفتوحة، وهذا أقرته كتب الشواذ إلا ما روي عن أبي الفضل الرازي[٢] (٣٧١ ـ ٤٥٤هـ) أنه ضبطها بهمزة ساكنة[٣]، ورواية أبي الفضل الرازي هذه مثال لالتقاء الساكنين الصحيحين في الدرج.

---

[١] ينظر: مختصر ابن خالويه ص١ وإعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧٦ والمحتسب ١/ ٤٦ والكشاف ١/ ١٧ وإملاء ما من به الرحمن ص٨ وشواذ القرآن واختلاف المصاحف لابن أبي نصر الكرماني ١/ ٥٢.

[٢] عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم بن جبريل بن محمد بن علي بن سليمان أبو الفضل الرازي العجلي الإمام المقرئ شيخ الإسلام الثقة الورع الكامل، مؤلف كتاب جامع الوقوف وغيره ... قال أبو سعد بن السمعاني: كان مقرئًا فاضلًا كثير التصانيف حسن السيرة متعبدا حسن العيش منفردا قانعا باليسير يقرئ أكثر أوقاته ويروي الحديث وكان يسافر وحده ويدخل البراري، وقال عبد الغافر الفارسي : كان ثقة جوالًا إمامًا في القراءات أوحد في طريقته ... وهو ثقة ورع عارف بالقراءات والروايات، عالم بالأدب والنحو أكبر من أن يدل عليه مثلي وهو أشهر من الشمس وأضوء من القمر، ذو فنون من العلم، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة،... مات في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وأربعمائة عن أربع وثمانين سنة ، وكان يقول أول سفري في الطلب كنت ابن ثلاث عشرة سنة فكان طوافه في البلاد إحدى وسبعين سنة – رحمه الله – تعالى ورضي عنه. (غاية النهاية ١/ ٣٦١).

[٣] ينظر: شواذ القرآن واختلاف المصاحف لابن أبي نصر الكرماني ١/ ٥٢. .

الثالث: أطلق ابن الدهان (ق٦هـ) هذا الأداء، فقال: «أيوب السختياني، وعمرو بن عبيد، والحسن، وأبو السمال بالهمزة المفتوحة كل القرآن، وكذا أخواته مثل ﴿جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٥٦] و﴿دَآبَّةٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وأشباههما كل القرآن»[١].

الرابع: ورد هذا الأداء الصوتي في مواضع أخرى من القرآن الكريم، حيث:

ـ قَرَأَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ [٢] (وَازْيَأَنَّتْ) بهمزة وصل بعدها زايٌ ساكنة، بعدها ياءٌ مفتوحة خفيفة، بعدها همزةٌ مفتوحة، بعدها نون مشددة، بِوَزْنِ افْعَأَلَّتْ[٣]، من قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس:٢٤]

ـ وكان الأَعْمَش(ت١٤٨هـ) يَقْرأ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾من قوله تعالى ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾[الرحمن:٦٤] [٤].

الخامس: قدم السهيلي تفسيرا صوتيا لهذه القراءة يتمثل في الفرار من التقاء الساكنين، " أَرَادَ أَن يُحَرك الْألف لالتقاء الساكنين فَلم يُمكن تحريكها، فأبدل مِنْهَا حرفا مؤاخيا لَهَا قريب الْمخْرج مِنْهَا، أجلد مِنْهَا وَأقوى وَهُوَ الْهمزَة"[٥].

---

[١] المغني في القراءات ١/ ٣٧٠.

[٢] أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ ... الإِمَامُ، الحُجَّةُ، شَيْخُ الوَقْتِ، ... مُخَضْرَمٌ، مُعَمَّرٌ، أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ وَالإِسْلاَمَ، وَغَزَا فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ وَبَعْدَهَا غَزَوَاتٍ... وَكَانَ مِنْ سَادَةِ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٧٥)

[٣] البحر المحيط ٦/ ٣٨ والدر المصون ٦/ ١٧٩.

[٤] غريب الحديث للخطابي ١/ ١٥١.

[٥] مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٧٢.

وقد أبان ابن جني (ت٣٩٢هـ) عن هذا التفسير الصوتي في أكثر من كتاب له فقال في الخصائص:" وأنا أرى ما ورد عنهم من همز الألف الساكنة في (بأز وسأق وتأبل) [١] ونحو ذلك إنما هو عن تطرق وصنعة، وليس اعتباطًا هكذا من غير مسكة. وذلك أنه قد ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاورت الحرف الساكن فكثيرًا ما تجريها العرب مجراها فيه، فيصير لجواره إياها كأنه محرك بها، فإذا كان كذلك فكأن فتحة باء باز إنما هي في نفس الألف، فالألف لذلك وعلى هذا التنزيل كأنها محركة وإذا تحركت الألف انقلبت همزة"[٢]، وقال في سر الصناعة:" وذلك أنه كره اجتماع الساكنين: الألف واللام الأولى، فحرَّك الألف لِالْتِقَائِهِمَا فَانْقَلَبَتْ هَمْزَةً، لأَن الأَلف حَرْفٌ ضَعِيفٌ وَاسِعُ المَخْرَج لَا يَتَحمَّل الْحَرَكَةَ ... فإِذا اضْطُرُّوا إِلى تَحْرِيكِهِ قَلَبُوهُ إِلى أَقرب الْحُرُوفِ منه وَهُوَ الْهَمْزَةُ" [٣]، وقال في المحتسب:" ذكر بعض أصحابنا: أن أيوب سُئل عن هذه الهمزة، فقال: هي بدل من المدة لالتقاء الساكنين، واعلم أن أصل هذه ونحوه: الضالين، وهو "الفاعلون" من ضلَّ يضل، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك، فأسكنت اللام الأولى وأُدغمت في الآخرة، فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدة الألف،

---

[١] أَبَلَتِ الإِبِلُ والوَحْش تَأْبُلُ وتَأْبِلُ من حَدّيْ نَصَرَ وضَرَبَ : جَزَأَتْ عَن الماءِ بالرُّطْبِ ... أَو أَبِلَت الإِبِلُ تَأْبَلُ: إِذا هَمَلَتْ فغابَتْ وليسَ مَعَها راعٍ أَو تَأَبَّدَتْ أَي تَوَحَّشَتْ، وَمن المَجازِ: أَبَلَ الرجُلُ عَن امْرَأَتِه: إِذا امْتَنَعَ عَن غِشْيانِها، كتَأَبَّلَ (تاج العروس: أ ب ل) .

[٢] الخصائص ٣/ ١٤٩ .

[٣] سر صناعة الإعراب ١/ ٨٦ ولسان العرب(ض ل ل).

واعتُمدت وطأة المد، فكان ذلك نحوًا من تحريك الألف؛ وذلك أن الحرف يزيد صوتًا بحركاته كما يزيد الألف بإشباع مدته "[١].

وقال الزمخشري(ت٥٣٨هـ):" ولقد جد في الهرب من التقاء الساكنين من قال (دأَبّة وشأَبّة)، ومن قرأ (ولا الضألّين) (ولا جأن)، وهي عن عمرو بن عبيد، ومن لغته النقل في الوقف"[٢].

السادس: ذكر غير واحد من اللغويين أن هذا الإبدال لغة، قال أبو زيد(ت٢١٥هـ): " سمعت العرب تقول: شَأَبَّه ومَأَدَّة ودَأَبَّة" [٣]، وهو قليل في كلام العرب[٤]،قال العكبري(ت٦١٦هـ): " وهي لغة فاشية في العرب في كل ألف وقع بعدها حرف مشدد نحو ضال ودابة وجان " [٥]، وقال القرطبي(ت٦٧١هـ): «وَقَرَأَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ:(وَلَا الضَّأْلِينَ) بِهَمْزَةٍ غَيْرِ مَمْدُودَةٍ، كَأَنَّهُ فَرَّ مِنَ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَهِيَ لُغَةٌ »[٦].

السابع: استشهد اللغويون لهذه القراءة بشعر العرب، ومن ذلك:

١ ـ قول كُثَيِّر:

وأنتَ ابنَ لَيْلَىٰ خَيْرُ قَوْمِكَ إذَا مَا احْمَأَرَّتْ بالعَبيطِ العَوامِلَ[٧]

٢ ـ وقال:

وَلِلأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فَتَجَلَّلَتْ بَيَاضًا، وأَمَّا بِيضُهَا فَادْهَأَمَّتِ[٨]

---

[١] المحتسب ١/ ٤٦.

[٢] المفصل في صنعة الإعراب ص٤٩٥.

[٣] المحتسب ١/ ٤٦.

[٤] الإبانة عن معاني القراءات ص١٢٢.

[٥] التبيان في إعراب القرآن ١/ ١١.

[٦] الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥١.

[٧] البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه ص٢٩٤.

[٨] البيت من الطويل لكثير عزة في ديوانه ص ٣٢٣، والمخصص ١٠/ ١٦٦، يقول: لقد

٣ ـ وقال الآخر:

يَـا عَجَبـا لَقَـدْ رأيْـتُ عَجَبـا حِمَـار قَبّـانٍ يَسُـوق أرْنَبـا

خاطِمَهـا زَأمَّهـا أن تَـذْهَبا فَقَلْتُ: أرْدِفْني، فَقَالَ: مَرْحَبا [1]

٤ ـ وقال الآخر:

وبَعدَ انتِهاضِ الشّيْب فِي كلَ جانبٍ عَلَىٰ لِمَّتِي، حَتّىٰ اشْعَأَلَ بَهِيمُها[2]

أَراد اشْعَالَّ من قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:٤] فهذا لا همز فيه.

٥ ـ وقال دُكين[3]:

رَاكِـدَةٌ مِخْلاتُـهُ ومَحْلَبُـهُ وجُلَـهُ حَتّـىٰ ابْيَـأضّ مَلْبَبُـهُ[4]

=تغير حال الأرض فما كان منها أبيض فقد اسود، وما كان منها أسود فقد ابيض والشاهد في قوله: ادهأمت فهو يريد ادهامت أي أسودت، حرك الألف فقلبها همزة.

[1] البيت من الرجز دون نسبة في سر صناعة الإعراب ١/ ٨٦ ، والصحاح (ز م م) ٥/ ١٩٤٤وحِمار قَبّانَ: دُوَيْبَّة مَعْرُوفَة.، لازقة بالأرض، ذات قوائم كثرة تشبه الخنفساء، وهي أصغر منها إذا لمسها احد اجتمعت كالشيء المطوي. ... وخاطمها: اسم فاعل من خطمه إذا جعل له خطاما.... وزأمها: أصله زامها، أي جعل لها زماما، يريد زامها من الزمام فهمز لئلا يلتقي الساكنان.

[2] البيت من الطويل دون نسبة في لسان العرب (ش ع ل) ، وسر الصناعة ١: ٨٣ ، والمقرب ٣: ١٦١ ، وشرح المفصل ٩: ١٣٠ و١٠: ١٢ ، والانتهاض: الانتشار، واللمة: شعر الرأس يجاوز شحمة الأذن، والبهيم: الأسود.

[3] دكين بن رجاء الفقيمي راجز مشهور ، وفد على الوليد بن عبد الملك (معجم ٣/ ١٢٩٢)

[4] الرجز دون نسبة في: الإبدال لأبي الطّيب اللّغوي٢/ ٥٤٥، وسرّ الصناعة ١/ ٧٤، والمحتسب ١/ ٣٢٠ ، والراكدة: الساكنة الدائمة. والمخلاة: ما يوضع فيه طعام الدابة. والمحلب: إناء الحليب. والملبب: موضع اللبة. والأصل: الملبّ بالإدغام. يصف إكرامه لفرسه.

الثامن: ومن إبدال الألف همزة ما حكاه اللحياني من قول بعضهم في الباز: البأز بالهمزة، ووجه ذلك: أن الألف ساكنة، وهي مجاورة لفتحة الباء قبلها، والحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تُنْزِله العرب منزلة المتحرك بها، من ذلك قولهم في الوقف على بكر: هذا بَكُر، ومررت ببكِر، ألا ترى حركتي الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها [1].

التاسع: هل ينقاس هذا الإبدال؟ قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ): " وَجَاءَتْ مِنْهُ أُلَيْفَاظٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يَنْقَاسُ هَذَا الْإِبْدَالُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْثُرْ كَثْرَةً تُوجِبُ الْقِيَاسَ، نَصَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْقَاسُ النَّحْوِيُّونَ،... وَعَلَى مَا قَالَ أَبُو الْفَتْحِ(ت٣٩٢هـ) إِنَّهَا لُغَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ يَنْقَاسَ ذَلِكَ "[2]، وقال أبو العباس: قلتَ لأبي عثمان: أتقيس ذلك؟ قال: لا، ولا أقبله[3].

وبعد، فإن المعروف أن تحقيق الهمز فيه شيء من الصعوبة؛ لذلك جنح العرب إلى تخفيف الهمز، والقراءات متواترة وشاذة تؤيد هذا التخفيف بصوره من حذف وإبدال ونقل وتسهيل بين بين، وعلى النقيض مما سبق نجد أن اللغة أحيانا تلجأ إلى المخالفة بالميل نحو الصعب فتهمز ما ليس أصله الهمز حفاظا على قوانينها وثوابتها، كأن تتحاشى الجمع بين الساكنين فتهمز (الضألين).

إن التعليل للتهميز بأنه من باب التوهم، أو بأنه من المبالغة في التفصح، أو المبالغة في التمدن، أو من القياس الخاطئ، كل ذلك لا يفسر السبب الجوهري لحدوث التهميز، وإنما يشرح الظروف الخارجية، التي صاحبت ظاهرة التهميز، أما السبب الحقيقي فيه، فهو أمر يتعلق بالمقاطع، واستساغة بعضها أكثر من البعض الآخر في لسان الأعراب البدويين[4].

---

[1] المحتسب ١/ ٤٦.

[2] البحر المحيط ١/ ٥٢.

[3] سر صناعة الإعراب ١/ ٨٧.

[4] الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية: د. أحمد طه سلطان (ص١١٤).

الموضع الثاني: تخفيف الهمز:

قال السهيلي: « وَقَوْلُهُ: (وَابُو يَزِيدٍ) [١] بِقَلْبِ الْهَمْزَةِ مِنْ (أَبُو) أَلِفًا سَاكِنَةً، فِيهِ حُجّةٌ لِوَرْشٍ، وَاسْمُهُ: عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[٢]، حَيْثُ أَبْدَلَ الْهَمْزَةَ أَلِفًا سَاكِنَةً، وَهِيَ مُتَحَرّكَةٌ، وَإِنّمَا قِيَاسُهَا عِنْدَ النّحْوِيّينَ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ بَيْنَ، مِثْلُ قَوْلِهِ(وَابُو يَزِيدٍ) قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ(ت ١١٠ هـ):

..... فَارْعَيْ فَزَارَةَ لَا هَنَاكِ الْمَرْتَعُ[٣]

وَإِنّمَا هُوَ (هَنَأَكِ) بِالْهَمْزِ وَتَسْهِيلِهَا بَيْنَ بَيْنَ، فَقَلْبُهَا أَلِفًا عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ

---

[١] قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ، قَالَا: وَأُصِيبَ مِنْ جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بْنُ الْمَيْلَاءِ، مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَأُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نَاسٌ قَرِيبٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ثُمَّ انْهَزَمُوا، فَخَرَجَ حِمَاسٌ مُنْهَزِمًا حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، ثُمَّ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَغْلِقِي عَلَيَّ بَابِي، قَالَتْ: فَأَيْنَ مَا كُنْتُ تَقُولُ؟ فَقَالَ:

إِنّكِ لَوْ شَهِدْت يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ ... إِذْ فَرّ صَفْوَانُ وَفَرّ عِكْرِمَهْ

وَابُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتَمَهْ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ

يَقْطَعْنَ كُلّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ... ضَرْبًا فَلَا يُسْمَعُ إِلّا غَمْغَمَهْ

(سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٨).

واعلم أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم كان قد عهد إلى امرأته حين أمرهم بدخول مكة، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم-(إنارة الدجى في مغازي خير الورى ص٦٢٩).

[٢] ينظر ترجمته: غاية النهاية (١/ ٥٠٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٢٩٥) .

[٣] عجز بيت للفرزدق في ديوانه ١/ ٤٠٨ ، وهو من أبيات الكتاب ١/ ١٧٠، وصدره: رَاحَتْ بِمُسْلِمَةِ الْبِغَالِ عَشِيَّةً.

والشاهد فيه: "هناك" حيث أبدلت الهمزة ألفا يريد "هنأك".

الْمَعْرُوفِ فِي النّحْوِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي الْمِنْسَاةِ، وَهِيَ الْعَصَا، وَأَصْلُهَا الْهَمْزُ، لِأَنّهَا مِفْعَلَةٌ مِنْ نَسَأْت، وَلَكِنّهَا فِي التّنْزِيلِ كَمَا تَرَى ، وَأَبُو يَزِيدَ الّذِي عَنَى فِي هَذَا الْبَيْتِ، هُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو خَطِيبُ قُرَيْشٍ» [1].

ـ يشرح السهيلي بيتا لِرَجُلٍ قَالَهُ يَوْمَ الْفَتْحِ يُخَاطِبُ امرأته، وربط هذا الشرح بالقراءات القرآنية فاتخذ من البيت حجة لرواية ورش في إبدال الهمزة المتحركة ألفا في نحو باب ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[البقرة:٦]، وذكر أن قياس تخفيف هذه الهمزة عند اللغويين هو تسهيلها بين بين وأن الإبدال على غير القياس النحوي، ثم نظّر لها بشاهدين: أولها الشعر العربي، وثانيهما القراءات المتواترة.

أما الشاهد الشعري الذي احتج به السهيلي فهو

إِنَّــكِ لَــوْ شَــهِدْتِنا بالحَنْدَمــهْ إِذْ فَــرَّ صَــفْوانُ وفَــرَّ عِكْرِمَــهْ

وابــو يَزيــدٍ قــائمٌ كالمُؤْتِمَــهْ واسْتَقْبَلَتْهُم بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ [2]

---

[1] الروض الأنف ٧/ ١٠٤.

[2] الرجز لحِمَاس بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ الْبَكْرِيِّ أو للرعاش الهذلي يخاطب امرأته حين لامته على الفرار من المسلمين (إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: تقي الدين المقريزي ١/ ٣٨٦)

والحَنْدَمَةُ : هو جَبَلٌ بمكَّةَ ... كانتْ به وَقْعَةٌ يَوْمَ فتْحِ مكَّةَ، ومنه يَوْم الخَنْدَمَةِ، وكان لَقِيهم خالِدُ بنُ الوَليدِ فهَزَمَ المُشْركِيْن وقَتَلَهُم (خ ن د م) وَقَوْلُهُ: وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتِمَهْ، يُرِيدُ: الْمَرْأَةَ لَهَا أَيْتَامٌ، وَالْأَعْرَفُ فِي مِثْلِ هَذَا مُوتِمٌ مثل مُطْفِلٌ، وَجَمْعُهَا مَيَاتِمُ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غير هذه الرواية: الموتمة: الأسطوانة، وَهُوَ تَفْسِيرٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ أَصَحّ مِنْ التّفْسِيرِ الْأَوّلِ، لِأَنّهُ تَفْسِيرُ رَاوِي الْحَدِيثِ، فَعَلَى قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ هَذَا يَكُونُ لَفْظُ الْمُوتِمَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَتَمّ وَأَتَمّ إذَا ثَبَتَ، لِأَنّ الْأُسْطُوَانَةَ تَثْبُتُ مَا عَلَيْهَا، وَيُقَالُ فِيهَا عَلَى هذا مؤتمة بِالْهَمْزِ، وَتُجْمَعُ مَآتِمُ، وَمُوتِمَةٌ بِلَا هَمْزٍ،

فالوزن العروضي يقتضي أن تبدل الهمزة المتحركة ألفا:

وَابُو يَزِيـ / دِنْ قائمن/ كالْ مؤْ تمة

مستفعلن / مستفعلن/ مستفعلن

ولذا حمل بعضهم هذا الإبدال على الضرورة، قال أبو ذر الخشني(ت٦٠٤هـ):" وحذف همزة أبي يزيد تخفيفًا في ضرورة الشعر"[1].

وكذلك مَا أَنشده سِيبَوَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ:

..... فَـارْعَيْ فَـزارةُ، لَا هَنَـاكِ المَرْتَـعُ

عَلَى الْبَدَلِ لِلضَّرُورَةِ، وَلَيْسَ عَلَى التَّخْفِيفِ [2]، قال سيبويه(ت١٨٠هـ):" واعلم أن الهمزة التي يحقِّق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحـًا، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً، والواو إذا كان ما قبلها مضمومـًا، وليس ذا بقياس متلئبٍّ[3] ... وإنَّما يحفظ عن العرب ... فمن ذلك قولهم: منسَاةٌ، وإنَّما أصلها منسِأَةٌ، وقد يجوز في ذا كله البدل حتَّى يكون قياسـًا متلئبا، إذا اضطر الشاعر: قال الفرزدق:

وَتُجْمَعُ: مَوَاتِمُ (الروض الأنف ٧/ ٣)، قال أبو ذر الخشني:" الموتمة بفتح التاء هي التي قتل زوجها فبقي لها أيتام ومن قاله بكسر التاء فيعني التي لها أيتام، يقال منه أيتمت فهي موتمٌ". (الإملاء المختصر في شرح غريب السير: لأبي ذر الخشني ص٣٧٠)

[1] الإملاء المختصر في شرح غريب السير: لأبي ذر الخشني ص٣٧٠.

[2] لسان العرب (هـ ن ء).

[3] قِيَاسٌ مُتْلَئِبٌّ: مُطَّرِدٌ (تاج العروس: ت ل ب)

راحَـتْ بَمسْـلَمَة البِغَـالُ عشـيَّةً فـارْعَىْ فـزارةُ لا هَنَـاكِ المَرْتَـعُ

فأبدل الألف مكانها، ولو جعلها بين بين لانكسر البيت" [١]، وقال المبرد (ت: ٢٨٥هـ):" فَهَذَا إِنَّما جَازَ للاضطرار كَمَا يجوز صرف مَا لَا ينْصَرف وَحذف مَالا يحذف مثله فِي الْكَلَام" [٢].

ولتوضيح ذلك نقول: إن هذا البيت من بحر الكامل، وأجزاؤه (متفاعلن) ست مرات، والهمزة في قوله (لا هَنَأَكِ) الأصل فيها أن تكون متحركة بالفتح، ولكنها تقابل في الوزن العروضي النون من (متفاعلن) والنون ساكنة أبدا ولا يمكن تحريكها، فكان الشاعر مضطرا إلى تخفيف الهمزة، والعدول عن القياس فيها وهو بين بين ـ لأن همزة بين بين متحركة على القول الصحيح ـ إلى الإبدال حرفا من جنس حركة ما قبلها وهو الألف، حتى يستقيم الوزن العروضي[٣].

ولأن هذا الإبدال على غير قياس النحويين وجدنا الزمخشري (ت٥٣٨هـ) يلحن ما جاء منه في القراءات العشر، يقول عن رواية ورش في نحو قوله تعالى﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[البقرة:٦]:" فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفـًا؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين: أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه- وحدّه أن يكون الأوّل حرف لين والثاني حرفا مدغمـًا نحو قوله: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، .. والثاني: إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحرّكة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفـًا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح

---

[١] الكتاب ٣/ ٥٥٣ وينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٤٧.

[٢] المقتضب ١/ ١٦٧.

[٣] الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية: د/ أحمد طه سلطان(ص٦٠).

ما قبلها كهمزة رأس» [١]، وقد ردّ علماؤنا ما قاله الزمخشري فذكروا:

١ ـ أن " هذا منه ليس بصواب؛ لثبوت هذه القراءة تواتراً" [٢]، قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ):" وَمَا قَالَهُ هُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ، وَقَدْ أَجَازَ الْكُوفِيُّونَ الْجَمْعَ بَيْنَ السَّاكِنِينَ عَلَى غَيْرِ الْحَدِّ الَّذِي أَجَازَهُ الْبَصْرِيُّونَ، وَقِرَاءَةُ وَرْشٍ صَحِيحَةُ النَّقْلِ لَا تُدْفَعُ بِاخْتِيَارِ الْمَذَاهِبِ وَلَكِنَّ عَادَةَ هَذَا الرَّجُلِ إِسَاءَةُ الْأَدَبِ عَلَى أَهْلِ الْأَدَاءِ وَنَقْلَةِ القرآن"[٣]، ولا نوافق أبا حيان في تعبيره الأخير فـ" الزمخشري جار الله كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفننا في علوم شتى " [٤]، وَأما كونه دَاعِيَةً إِلَى الاعتزَالِ، فاللهُ يُسَامِحُهُ[٥].

٢ ـ أن إبدال الهمزة من قبيل الأداء، ولس من قبيل التواتر، قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ):" وهذه القراءة من قبيل الأداء، ورواية المصريين عن ورش وأهل بغداد يروون التسهيل بين بين كما هو القياس فلا يكون الطعن فيها طعنا فيما هو من السبع المتواتر إلا أن المعتزلي أساء الأدب في التعبير" [٦]، وذكر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) بناء على كلام الزمخشري(ت٥٣٨هـ) أن رواية الإبدال ضعيفة، فقال:" وَرَوَى أَهْلُ مِصْرَ

---

[١] الكشاف (١/ ٤٨) وينظر: مفاتيح الغيب (٢/ ٢٨٦) وإرشاد العقل السليم (١/ ٣٦).

[٢] الدر المصون (١/ ١١٠).

[٣] البحر المحيط (١/ ٧٩).

[٤] معجم الأدباء (٦/ ٢٦٨٧).

[٥] سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥٦).

[٦] روح المعاني (١/ ١٣٣).

عَنْ وَرْشٍ إِبْدَالَ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَهُوَ لَحْنٌ، وَهَذَا يُضَعِّفُ رِوَايَةَ الْمِصْرِيِّينَ عَنْ وَرْشٍ، وَهَذَا اخْتِلَافٌ فِي كَيْفِيَّةِ الْأَدَاءِ فَلَا يُنَافِي التَّوَاتُرَ"[1].

ولا نوافقهما فيما ذهبا إليه، ولعلهما تأثرا بكلام ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) :" الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مُتَوَاتِرَةٌ فِيمَا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْأَدَاءِ، كَالْمَدِّ وَالْإِمَالَةِ وَتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ وَنَحْوِهَا" [2]، يَعْنِي أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمُتَوَاتِرَةٍ، وَهَذَا ضَعِيفٌ [3] والمراد بقوله(مِنْ قَبِيلِ الْأَدَاءِ) بِأَنْ كَانَ هَيْئَةً لِلَفْظٍ يَتَحَقَّقُ بِدُونِهَا وَلَا يَخْتَلِفُ خُطُوطُ الْمَصَاحِفِ بِهِ [4]، وَهُوَ وَإِنْ أَصَابَ فِي تَفْرِقَتِهِ بَيْنَ الْخِلَافَيْنِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ وَاهِمٌ فِي تَفْرِقَتِهِ بَيْنَ حالتي نَقْلِهِ وَقَطْعِهِ بِتَوَاتُرِ الِاخْتِلَافِ اللَّفْظِيِّ دُونَ الْأَدَائِيِّ، بَلْ هُمَا فِي نَقْلِهِمَا وَاحِدٌ، وَإِذَا ثَبَتَ تَوَاتُرُ ذَلِكَ كَانَ تَوَاتُرُ هَذَا مِنْ بَابٍ أَوْلَى، إِذ اللَّفْظُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ، أَوْ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِوُجُودِهِ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى تَوَاتُرِ ذَلِكَ كُلِّهِ أَئِمَّةُ الْأُصُولِ كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ الْبَاقِلَّانِيِّ(ت٤٠٣هـ) فِي كِتَابَهِ الِانْتِصَارِ وَغَيْرِهِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا تَقَدَّمَ ابْنَ الْحَاجِبِ إِلَى ذَلِكَ [5].

٣ـ قال الشهاب الخفاجي(ت: ١٠٦٩هـ):" وروي عن ورش إبدال الثانية ألفًا محضة فقال الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ) وتبعه المصنف (ت٦٨٥هـ)[6]: إنها لحن؛ لأنّ الهمزة المتحرّكة لا تبدل ألفا، ولأنه يؤدي

---

[1] التحرير والتنوير (١/ ٢٥١).

[2] بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (١/ ٤٦٢).

[3] البحر المحيط (٢/ ٢١٣).

[4] التقرير والتحبير : لابن أمير الحاج(٢/ ٢١٣).

[5] النشر في القراءات العشر(٢ / ٩٧).

[6] البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل(١/ ٤١).

إلى جمع الساكنين على غير حده، وهو خطا لثبوتها تواتراً في القراءات السبعة ...، وما طعنوا به ليس بشيء؛ لأنه ورد عن فصحاء العرب إبدال الهمزة المتحرّكة، وان كان أقل من إبدال الساكنة، كما في قوله:

... ... فَــارْعَيْ فَــزَارَةُ لاَ هَنَــاكِ المَرْتَــعُ

وقوله:

سَالَت هُذَيْلٌ رَسُولَ الله فَاحِشَةً ضَلّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ

والتقاء الساكنين على حده في اصطلاح أهل العربية والأداء أن يكون الأوّل حرف لين والثاني مدغمًا نحو ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة:٧] ... ثم خصوا الوقف بجواز التقائهما مطلقا لكونه عارضا، فتلخص من كلامهم أنه لا يجمع بين ساكنين وصلا في غير ما ذكر، وإنما اغتفر في الإدغام لعروضه، ولأنّ المدغم والمدغم فيه كحرف واحد، فكأنه متحرّك ...، والحد بمعنى حكمه الذي لا يتعداه ..، كما في قوله ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٧] أي أحكامه اللائقة به.

وأجيب عن التقاء الساكنين بأنّ من قلبها ألفًا أشبع مد الألف بزيادة ألف أو ألفين ليكون ذلك فاصلاً بين الساكنين، كما ذكروه في قراءة ﴿وَمَحْيَايَ﴾ [الأنعام:١٦٢] بسكون الياء وصلا[1]، وهذا مما اتفق عليه القرّاء،... وكون حد التقاء الساكنين ما مرّ مذهب البصريين ولا يجب اتباعه مع أنه في المطرد المقيس، وكلام الله مما يقاس عليه لا مما يقاس على غيره، فإذا جاءَ نَهْرُ اللهِ بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِلٍ [2]، على أنه عارض، والأصل أنه

---

[1] أَسْكَنَهَا نَافِعٌ بِاخْتِلَافٍ عَنِ الْأَزْرَقِ عَنْ وَرْشٍ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ (النشر ٢/ ٢٦٧) .

[2] نهر معقل بِالْبَصْرَةِ وَهُوَ معقل بن يسَار الْمُزنِيّ الصَّحَابِيّ وينسب إِلَيْهِ التَّمْر المعقلي،

لا يعتدّ به "[1].

٤ ـ ورد إبدال الهمزة المفتوحة بعد فتح في القراءات متواترة وشاذة، ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾[سبأ:١٤]، تنوعت القراءات المتواترة فِي قوله تعالى ﴿ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو بِأَلِفٍ بَعْدَ السِّينِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ وَهَذِهِ الْأَلِفُ بَدَلٌ مِنَ الْهَمْزَةِ، وَهُوَ مَسْمُوعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ. ...[2]، فَإِنْ قِيلَ: الْبَدَلُ مِنَ الْهَمْزَةِ قَبِيحٌ جِدًّا وَإِنَّمَا يَجُوزُ فِي الشِّعْرِ عَلَى بُعْدٍ وَشُذُوذٍ، وَأَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ(ت١٥٤هـ) لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا لَا سِيَّمَا وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ. فَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا أَنَّ الْعَرَبَ اسْتَعْمَلَتْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْبَدَلَ وَنَطَقُوا بِهَا هَكَذَا كَمَا يَقَعُ الْبَدَلُ فِي غَيْرِ هَذَا وَلَا يقاس عليه [3]، وقال أبو عمرو(ت١٥٤هـ): أنا لَا أَهْمِزُهَا لِأَنِّي لَا أَعْرِفُ لَهَا اشْتِقَاقًا، فَإِنْ كَانَتْ مِمَّا لَا تُهْمَزُ، فَقَدِ احْتَطْتُ، وَإِنْ كَانَتْ تُهْمَزُ، فَقَدْ يَجُوزُ لِي تَرْكُ الْهَمْزَةِ فِيمَا يُهْمَزُ[4].

ولا يفهم من هذا أن القراءة بالرأي أو بالاجتهاد، فقد ذكرت مثل ذلك عنه أنه لا يقرأ حرفا إلا بأثر، غاية الأمر أنه اختار مما رواه وثبت عنده بسند صحيح ومتواتر إلى النبي ﷺ فاختار الأقوى لغة.

وَفِي الْمثل إِذا جَاءَ نهر الله بَطل نهر معقل، وَالْمرَاد بنهر الله مَا يَقع عِنْد الْمَدّ فَإِنَّهُ يطم على الْأَنْهَار كلهَا (تاج العروس: (ع ق ل) وخلاصة الأثر٢/ ٢٨٠) .

[1] حاشية الشهاب (١/ ٢٧٢).

[2] النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٥٠).

[3] الجامع لأحكام القرآن(١٤/ ٢٨٠).

[4] البحر المحيط(٨/ ٥٣١).

وروي عن ورش في قوله﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ حيث وقع بعد همزة الاستفهام إبدال الهمزة ألفا مع إشباع المد للساكنين [١]، والنحاةُ يَسْتَضْعِفُون إبدالَ هذه الهمزةِ ألفـًا، بل المشهورُ عندهم تسهيلُها بين بين، وهي الرواية المشهورة عن نافع، لكنه قد نَقَل الإبدالَ المحض قطربٌ(ت٢٠٦هـ) وغيرُه من اللغويين [٢].

وفي قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠] قَرَأَ الزُّهْرِيُّ(٥٨ - ١٢٤هـ):(كَيْفَ بَدَا الْخَلْقَ)، بِتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ بِإِبْدَالِهَا أَلِفًا، فَذَهَبَتْ فِي الْوَصْلِ، وَهُوَ تَخْفِيفٌ غَيْرُ قِيَاسِيٍّ،... وَقِيَاسُ تَخْفِيفِ هَذَا التَّسْهِيلِ بَيْنَ بَيْنَ [٣]،قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): ترك الهمز في هذا عندنا على البدل، لا على التخفيف القياسي، ومثله بيت الكتاب:

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالَ عَشِيَّةً فَارْعَىٰ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ الْمَرْتَعُ

ولو كان تخفيفا قياسيا لجعل الهمزة بين بين، فقال: "بدا"، ولو أسندت الفعل إلى نفسك على التخفيف القياسي قلت: بَدَاتُ، بألف لا همز في لفظها، وعلى البدل: بَدَيتُ، كما حكي عنهم: قريتُ، وأخطيتُ[٤].

التفسير الصوتي لهذا الإبدال:

قال ابن النجيبين الهمذاني(ت٦٤٢هـ):" وإنما فعلوا ذلك فرارا من الهمزة؛ لأن المسهلة بزنة المحققة، بدلالة إدخال الألف بينهما مع التسهيل،

---

[١] تقريب النشر(١/ ٢٨٩) والبدور الزاهرة (ص١٤٥).

[٢] الدر المصون(٤/ ٦١٥).

[٣] البحر المحيط (٨/ ٣٤٨) وينظر: المعني في القراءات لابن الدهان ٣/ ١٤٤٢.

[٤] المحتسب (٢/ ١٧٣).

وأيضا فإن اللفظ بالألف أسهل وأخف على اللافظ من اللفظ بهمزة بين بين، وأما ما يلزمهم من اجتماع الساكنين فمغتفرٌ لما في الألف من المد الذي يقوم مقام الحركة، وأيضا فإن البدل عارضٌ، والعارض لا يُعتدُّ به بدلالة إظهارهم ﴿ٱلرُّءۡيَآ﴾ و﴿وَتُؤۡوِيٓ﴾ [الأحزاب:٥١] [١] ونظائرهما مع البدل، وأيضا فإن يونس(ت١٨٢هـ) قد أجاز اجتماع الساكنين إذا كان الأول منهما حرف مدٍّ ولين وإن لم يكن الثاني مدغما " [٢].

ـ التفسير اللهجي:

قيل: إن إبدال الهمزة المفتوحة بعد فتح " لغة لبعض العرب" [٣]، وقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ(ت١٥٤هـ) في قراءة﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ـبِأَلِفٍ بَعْدَ السِّينِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ ـ هُوَ لُغَةُ قُرَيْشٍ [٤].

---

[١] ﴿ٱلرُّءۡيَآ﴾ أبدل السوسي الهمزة واوا ساكنة مدية مع إظهارها، وأبدلها أبو جعفر كذلك ولكن مع إبدال الواو ياء وإدغامها في الياء بعدها فينطق بياء مشددة مفتوحة بعدها ألف، ولحمزة في الوقف عليه وجهان أحدهما كالسوسي والآخر = =كأبي جعفر، وقرأ أبو جعفر وحده﴿وَتُؤۡوِيٓ﴾ بإبدال الهمزة واوا ساكنة مظهرة في الحالين (البدور الزاهرة ص٢٥٧ و٢٧٠).

[٢] الدرة الفريدة في شرح القصيدة(١ / ٣٧٥) وينظر: شرح الهداية لأبي العباس المهدوي(ص٢٣٧ ـ ٢٣٩).

[٣] إبراز المعاني(ص١٢٩) ، وينظر: الدرة الفريدة في شرح القصيدة (٣/ ٤٠٧).

[٤] النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٥٠).

الموضع الثالث: التخلص من التقاء الساكنين:

قَالَ أَبُو طَالِبٍ يُعَرِّضُ بِالْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَيَعُمُّ مَنْ خَذَلَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَمَنْ عَادَاهُ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ:

بَلَىٰ لَهُمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَجَرْجَمَا ... كَمَا جُرْجِمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي

قال السهيلي:

« وَلَوْ رُوِيَ «مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقِ الصَّخْرُ» بِحَذْفِ التَّنْوِينِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ لَكَانَ حَسَنًا، كَمَا قُرِئَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢] بِحَذْفِ التَّنْوِينِ مِنْ ﴿أَحَدٌ﴾، وَهِيَ رِوَايَةُ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

حُمَيْدُ الَّذِي أَمَجٌ دارُهُ.....[٢]

وَقَالَ آخَرُ:

وَلا ذَاكِرُ اللهِ إلّا قَلِيلَا[٣] » [١].

---

[١] سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ص٤٧٦.

[٢] صدر بيت من المتقارب لحميد الأمجي في معجم ما استعجم ١/ ١٩١ولابن عم حميد في العقد الفريد ٦/ ٣٥٢وبلا نسبة في خزانة الأدب ١١/ ٣٧٦وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٥٣٥ونوادر أبي زيد ص ١١٧، يَمْدَحُ رَجُلًا بمعاقَرَةِ الخَمْر ويَزْعمُ أنّها كَرَمٌ، وأَمَج، بِفُتْحَتَيْنِ وَجِيمٍ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ التي منها الشاعر ونسب إليها، وعجزه:

أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلعُ.(لسان العرب: أ م ج) .

المعنى: وحميد هذا داره في أمج، وقد لازم الخمرة رغم تقدم سنه، وهو أصلع، والشاهد فيه (حميدُ) حيث حذف التنوين.

[٣] عجز بيت من المتقارب لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص ٤٩ والكتاب لسيبويه

وهذه القراءة رِوَايَة يُونُس، وَمَحْبُوب، وَالْأَصْمَعِيّ، وَاللُّؤْلُؤِيّ، وَعُبَيْد، وَهَارُون عَنْ أبي عمرو، وابن موسى عن الكسائي [٢]، وَقَرَأَ بها أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَنَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَأَبُو السَّمَّالِ[٣]،وحُمَيد وابن مناذر[٤][٥].

والتفسير اللغوي لهذا الحذف طَلَب الْخِفَّةِ، وَفِرَار مِنَ الْتِقَاءِ الساكنين[٦]، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ فِي الشِّعْرِ[٧]،

١/ ٨٥ وصدره:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ.

و(ذاكر) بالجرّ عطفًا على (مستعتب) ويجوز نصبه عطفا على (غير) وترك تنوينه، وكان الأصل فيه أن ينون ويكسر لالتقاء الساكنين لكنه حذف لالتقاء الساكنين في بعضه من غير تحريك، و(الله) منصوب به لاعتماده ، أي ذكرته ما كان بيننا من العهود وعاتبته، أو في عتاب فما وجدته طالب رضاي (حاشية الشهاب ٣/ ٨٦).

[١] الروض الأنف ٣/ ٥٩.

[٢] المغني في القراءات ٤/ ١٩٧٢.

[٣] البحر المحيط ١٠/ ٥٧١ والدر المصون ١١/ ١٥٠.

[٤]محمد بن مناذر ... شاعر فصيح متقدم في العلم باللغة إمام فيها، أخذ عنه كثير من اللغويين، وكان في أول أمره ناسكا يتأله، ثم ترك ذلك وهجا الناس وتهتك، فوعظته المعتزلة فلم يتّعظ فزجروه فهجاهم وقذفهم حتى نفي عن البصرة الى الحجاز فمات هناك سنة ثمان وتسعين ومائة. وكان قارئا تروى عنه حروف يقرأ بها، وصحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة وأخذ عنهما الأدب واللغة، وله معرفة بالحديث. روى عن سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة وجماعة.... وعن محمد بن يزيد النحوي أن ابن مناذر كان إذا قيل له ابن مناذر- بفتح الميم- يغضب ثم يقول: أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى، وهما كورتان من كور لأهواز، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر. (معجم الأدباء ٦/ ٢٦٤٨)

[٥] المغني في القراءات ٤/ ١٩٧٢.

[٦] الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤٤.

[٧] البحر المحيط ١٠/ ٥٧١ والدر المصون ١١/ ١٥٠.

وَسِيبَوَيْهِ(ت١٨٠هـ) إِنَّمَا يُجوِّزُ هَذَا فِي الشِّعْرِ، وَالْمُبَرِّدُ(ت٢٨٥هـ) يُجَوِّزُهُ فِي الْكَلَامِ[١]، والأجود تحريك التّنوين لالتقاء الساكنين، لأنه علامة فحذفه قبيح، وقراءة الجماعة أولى [٢]

وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وردت به القراءات الشاذة، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] قرأ الأعمش(ت١٤٨هـ) بعدمِ التنوين ونصبِ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾، وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين وإرادته[٣].

٢ ـ قال ﷻ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام:٩٦] قَرَأَتْ فِرْقَةٌ بِنَصْبِ ﴿ٱلْإِصْبَاحَ﴾ وَحَذْفِ تَنْوِينِ ﴿فَالِقُ﴾[٤].

٣ ـ قال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١]، العامَّةُ على جَرِّ﴿جَاعِلِ﴾ نعتًا أو بدلاً، والحسن بالرفعِ والإضافةِ، وروي عن أبي عمروٍ كذلك، إلاَّ أنَّه لم يُنَوِّنْ، ونَصَبَ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وذلك على حَذْفِ التنوينِ لالتقاء الساكنين [٥].

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات:٣٨] قرأ أبان ابن تغلب عن عاصم وأبو السَّمَّال في روايةٍ ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ بحذف النون

---

[١] البحر المحيط ٤/ ٥٩٣.
[٢] إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٥.
[٣] الدر المصون ٣/ ٥٢٠.
[٤] البحر المحيط ٤/ ٥٩٣.
[٥] الدر المصون ٩/ ٢٠٩.

والنصبِ، أَجْرى النون مُجْرى التنوين في حَذْفِها لالتقاء الساكنين[١].

وحذف التنوين في التقاء الساكنين "ليس بالوجه" عند الفراء(ت٢٠٧هـ)[٢]، وقال الطبري(ت٣١٠هـ):" والصواب في ذلك عندنا: التنوين، لمعنيين:

أحدهما: أنه أفصح اللغتين، وأشهر الكلامين، وأجودهما عند العرب.

والثاني: إجماع الحجة من قرّاء الأمصار على اختيار التنوين فيه، ففي ذلك مُكْتَفًى عن الاستشهاد على صحته بغيره" [٣]، وَقَالَ ابْن خلف تَحْرِيك التَّنْوِين لالتقاء الساكنين أَجود من حذفه؛ إِذْ هُوَ حرف يحْتَمل التحريك [٤].

التفسير اللغوي لحذف التنوين في التقاء الساكنين :

الْحَذف إِنَّمَا يكون فِي حرف الْمَدّ واللين خَاصَّة، وَإِنَّمَا جَازَ فِي التَّنْوِين لمضارعته إِيَّاهَا، وَأَنه يَقع كثيرا بَدَلا مِنْهَا، وتزاد فِي الْموضع الَّذِي تزاد فِيهِ لَا تنفك من ذَلِك، فَلَمَّا أشبهَهَا وَجرى مَعهَا أَجْرى مجْرَاهَا مَعهَا[٥]، إن حذف النون دون غيرها من الصوائت الأخرى يرجع لتميزها بصفات صوتية خاصة فضلا عن كونها ساكنة عند حذفها وهذا يجعلها ـ في ضعفها وخفائها ـ أقرب إلى أصوات اللين، وهذا ما قررته الدراسات الصوتية الحديثة [٦].

---

[١] البحر المحيط ٩/ ٩٩ و الدر المصون ٩/ ٣٠٢.

[٢] معاني القرآن للفراء ٣/ ٣٠٠.

[٣] جامع البيان للطبري ٢٤/ ٦٨٩.

[٤] خزانة الأدب ١١/ ٣٧٧.

[٥] المقتضب ٢/ ٣١٢.

[٦] الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ص٢٧.

وهذا يدل على أن التغيير هنا صوتي فقط مع الاحتفاظ بالدلالة، ومن ثَمّ فالمتكلم والسامع يدركان طبيعة هذا التغيير الصوتي، وسببه، ودلالته، يقول سيبويه(ت١٨٠هـ):" واعلم أنَّ العرب يَستخفّون فيحذفون التنوينَ والنون، ولا يتغير من المعنى شيء "[1]، ويؤكد ابن جني(ت٣٩٢هـ) فكرة حذف التنوين طلبا للخفة، ففي قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴾[يس:٤٠] ينقل عن محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ) قوله: سمعت عُمَارَةَ بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ :(وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارَ) فقلت ما هذا؟ قال: أَرَدْتُ (سَابِقٌ النَّهَارَ) فَحَذَفْتُ التَّنْوِينَ، لِأَنَّهُ أَخَفُّ، قال أبو جعفر(ت٣٣٨هـ): يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ(النَّهَارُ) مَنْصُوبًا بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، وَيَكُونُ التَّنْوِينُ حذف لالتقاء الساكنين [2].

ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء:

أحدها: أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم.

والثاني: أنهم قد ينطقون بالشيء وفي أنفسهم غيره، ألا ترى أنه لما نصّ أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال: «أردت كذا» وهو خلاف ما لفظ به.

والثالث أنهم قد ينطقون بالشيء غيره أقوى منه استلانة وتخفيفا، ألا تراه كيف قال: لو قلته لكان أوزن، أي أقوى وأعرب[3].

---

[1] الكتاب لسيبويه (١/ ١٦٥).

[2] إعراب القرآن ٣/ ٢٧٦ وسر صناعة الإعراب ٢/ ١٩٢ والخصائص ١/ ١٢٦ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ١/ ١٧٤ ولسان العرب (ع ر ق) و الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٣ والبحر المحيط ٩/ ٦٩ والدر المصون ٩/ ٢٧١.

[3] معجم الأدباء ٤/ ١٥٩٦ وينظر: الخصائص ١/ ٢٥٠.

الموضع الرابع: حذف حركة الإعراب تخفيفا:

قال السهيلي:

«وَذَكَرَ قَوْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ آخِذٌ بِخِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

خَلّوا بَنِي الْكُفّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

وَيُرْوَى (الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ) بِسُكُونِ الْبَاءِ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي الضّرُورَةِ نَحْوَ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

فَاليَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ..... [(١)]

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ جَائِزًا فِي الْكَلَامِ إِذَا اتّصَلَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنّهُ كَانَ يَقْرَأُ ﴿يَأْمُرْكُمْ﴾ [البقرة:٦٧] ﴿وَيَنصُرْكُم﴾ [آل عمران:١٦٠] » [(٢)].

احتج السهيلي لإسكان آخر المضارع المرفوع بالقراءة المتواترة بعد

[(١)] صدر بيت من السريع لامرئ القيس في ديوانه ص١٤٩ وشرح ديوان امرئ القيس لأبي جعفر النحاس: ٨٥٠، والكتاب ٤/ ٢٠٤ وعجزه:

إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ

والمستحقب: المكتسب، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقيبة، والواغل: الداخل على الشرب ولم يدع. يقوله حين قُتل أبوه ونذر ألا يشرب الخمر حتى يثأر به، فلما أدرك ثأره حلت له بزعمه فلا يأثم بشربها؛ إذ قد وفَّى بنذره فيها.

والشاهد فيه إسكان آخر الفعل، وهو "الباء" من "أشرب" في حال الرفع مع الوصل، شبه المنفصل من كلمتين بالمتصل من كلمة واحدة، نحو "عضد" وشبهه، لأنه بنى من "الراء والباء، والغين" من الكلمة الأخرى، مثل "ربغ" ثم أسكن الباء (إيضاح شواهد الإيضاح ١/ ٣٢٥).

[(٢)] الروض الأنف ٧/ ٢٨.

أن حكم على ذلك بكونه ضرورة شعرية مستشهدا ببيت مناظر لامرئ القيس، ورواية البيت بالإسكان واردة في كتب السنن فـ" عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ وَعَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

خَلّوا بَنِي الكُفّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... اليَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَىٰ تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلَ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ[1]

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ وَفِي حَرَمِ الله تَقُولُ الشِّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»[2]

قال ابن حجر(ت٨٥٢هـ):" وَقَوْلُهُ (الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ) أَيِ الْآنَ، وَجَازَ تَسْكِينُ الْبَاءِ لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ، بَلْ هِيَ لُغَةٌ قُرِئَ بِهَا فِي الْمَشْهُورِ"[3]، حيث " قرأ أبو عمرو ﴿بَارِئِكُمْ﴾[البقرة:٥٤] في الموضعين هنا بإسكان الهمزة، و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة:٦٧، ٩٣، ١٦٩، ٢٦٨] [آل عمران:٨٠ موضعان] [النساء:٥٨] ﴿يَأْمُرُهُم﴾ [الأعراف:١٥٧] و﴿تَأْمُرُهُمْ﴾ [الطور:٣٢] و﴿يَنصُرُكُم﴾ [آل عمران:١٦٠] [الملك:٢٠] و

---

[1] الرجز لابن رواحة في الشمائل المحمدية ص٢٠٣ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٢٣ ، وقال السهيلي:" وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ هُمَا لِعَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ، كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ، قَالَهُمَا يَوْمَ صِفّينَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الّذِي قُتِلَ فِيهِ عَمّارٌ، قَتَلَهُ أَبُو الْغَادِيَةِ الْفَزَارِيّ وَابْنُ جَزْءٍ اشْتَرَكَا فِيهِ" (الروض الأنف ٧/ ٢٨)، قَوْلُهُ: يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ، يَعْنِي: يُزِيلُ الرُّءُوسَ عَنْ مَوَاضِعِهَا مِنَ الْأَعْنَاقِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَقِيلَ فِيهِ الْمَحَلُّ الَّذِي تَسْكُنُ فِيهِ الرُّءُوسُ.

[2] سنن الترمذي(٥/ ١٣٩/ ٢٨٤٧)، صحيح (مجمع الزوائد ٦/ ١٤٧/ ١٠١٩٠).

[3] فتح الباري ٧/ ٥٠١.

﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام:١٠٩] حيث وقع بإسكان الراء، وروى عنه جماعة الاختلاس في الكلمات الست، وروى بعضهم إتمام الحركة عن الدوري، وبذلك قرأ الباقون "[١]، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو(ت٤٤٤هـ): وَالْإِسْكَانُ - يَعْنِي فِي هَذَا الْكَلِمِ - أَصَحُّ فِي النَّقْلِ، وَأَكْثَرُ فِي الْأَدَاءِ، وَهُوَ الَّذِي أَخْتَارُهُ وَآخُذُ بِهِ. .. [٢].

والحاصل أن باب ﴿ بَارِئِكُمْ﴾ ورد في ست كلمات في أربعة عشر موضعا، موضعان منها بحذف حركة الجر والباقي بحذف حركة الرفع.

- وقد طعن بعض العلماء في قراءة أبي عمرو البصري، فقالوا " الإسكان في حركات الإعراب لغير إدغام ولا وقف ولا اعتلال منكر؛ فإنه على مضادة حكمة مجيء الإعراب، وجوزه سيبويه(ت١٨٠هـ) في ضرورة الشعر" [٣]، **وهاك أقوال خمسة منهم:**

١) - **قال الأخفش(ت٢١٥هـ)**:" وقوله ﴿بَارِئِكُمْ﴾... زعم قوم أنها تجزم، ولا أرى ذلك إلا غلطا منهم، سمعوا التخفيف فظنوا أنه مجزوم، والتخفيف لا يفهم إلا بمشافهة ولا يعرف في الكتاب" [٤].

٢) - **قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ(ت٢٨٥هـ)**: لَا يَجُوزُ التَّسْكِينُ مَعَ تَوَالِي الْحَرَكَاتِ فِي حَرْفِ الْإِعْرَابِ فِي كَلَامٍ وَلَا شِعْرٍ، وَقِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو لَحْنٌ [٥].

٣) - **قَالَ الزَّجَّاجُ(ت٣١١هـ)**: أَجْمَعَ النَّحْوِيُّونَ الْبَصْرِيُّونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِسْكَانُ حَرَكَةِ الْإِعْرَابِ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشِّعْرِ، فَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي

---

[١] تقريب النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٥٣).

[٢] النشر ٢/ ٢١٢ .

[٣] إبراز المعاني ص٣٢٤ .

[٤] معاني القرآن للأخفش (١/ ٨٩).

[٥] الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠٢ .

عمرو فَلَمْ يَضْبُطْهُ عَنْهُ الْقُرَّاءُ، وَرَوَى عَنْهُ سِيبَوَيْهِ(ت١٨٠هـ) أَنَّهُ كَانَ يَخِفُّ الْحَرَكَةَ وَيَخْتَلِسُهَا، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ الْإِسْكَانُ فِي الشِّعْرِ[1]، وتكرر ذلك في كتابه : (معاني القرآن وإعرابه)، فقال:" وروي عن أبي عمرو بن العلاءِ أنه قرأ﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ بإسكان الهمز، وهذا رواه سيبويه باختلاس الكسرة، وأحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيبويه؛ فإنه أضبط لمَا رَوَى عن أبي عمرو، والإعْراب أشبه بالرواية عن أبي عمرو؛ لأن حذف الكَسرة في مثل هَذا وحذف الضم إنما يأتي باضطرار مِنَ الشعر ... ولا ينبغي أن يُقْرَأ إلا ﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ بالكسر، وكذلك ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾[2]، وقال :" وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته ﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ ، فإنما هو أن يختلس الكسر اختلاسًا، ولا يَجْزِم بَارِئِكم، وهذا أعني جزم بارئكم إنما رواه عن أبي عمرو من لا يضبط النحو كضبط سيبويه والخليل، ورواه سيبويه باختلاس الكسر، كأَنَّه تقلَّلَ صَوْته عند الكسرة"[3].

٤) قال ابن جني (ت٣٩٢هـ):" ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو ... ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾[البقرة:٥٤] مختلسًا غير ممكن كسر الهمزة، حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا، ولم يُؤتَ القوم

---

[1] البحر المحيط ٦/ ١٤٤ ومفاتيح الغيب ١٧/ ٣٣٨ .

[2] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١٣٧).

[3] السابق (٤/ ٢٧٥).

في ذلك من ضعف أمانة، لكن أُتُوا من ضعف دراية "[١]، وقال:" وأما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ﴾ [البقرة:٦٧] [النساء:٥٨]و ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤] فرواها القراء عن أبي عمرو بالإسكان، ورواها سيبويه بالاختلاس، وإن لم يكن كان أزكى فقد كان أذكى، ولا كان بحمد الله مُزَنّا بريبة، ولا مغموزًا في رواية" [٢].

٥) قال أحمد بن إدريس(ق٤هـ) :" قوله ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ القراءة الصحيحة بالإشباع؛ لأن الاسم في موضع جر، فأما رواية اليزيدي في هذا الحرف وشبهه أن أبا عمرو كان يجزمه، فأحسبُهُ غلطا في العبارة، وإنما أراد أنّ أبا عمرو كان يختلس الحركة، وقد بين ذلك سيبويه فيما رواه عن أبي عمرو أن الحركات إذا توالت في الاسم أعنى: الضمات أو الكسرات اختلس الحركة الوسطى لحذقه بالأداء" [٣].

فَحُجَّة مَنْ أَنْكَرَ التَّسْكِينَ فِي حَرْفِ الْإِعْرَابِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ مِنْ حَيْثُ كَانَ عَلَمًا لِلْإِعْرَابِ، وَأَمَّا حَرَكَةُ الْبِنَاءِ فَلَمْ يَخْتَلِفِ النُّحَاةُ فِي جَوَازِ تَسْكِينِهَا مَعَ تَوَالِي الْحَرَكَاتِ[٤].

---

[١] الخصائص ١/ ٧٣ .

[٢] السابق٢/ ٣٤٢ .

[٣] المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ١/ ٥٠.

[٤] الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠٢ .

الرد على من أنكر قراءة أبي عمرو البصري:

إن كان قد غمز بعض اللغويين قراءة أبي عمرو فإن جمهورهم لم يرتضوا ما ذهب إليه هذا البعض ودحضوا هذه الدعاوى وأتوا بما يعضد هذه القراءة الصحيحة، وذلك من خلال ما يأتي:

١) مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ المُنكِرُ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ أَبَا عَمْرٍو لَمْ يَقْرَأْ إِلَّا بِأَثَرٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَلُغَةُ الْعَرَبِ تُوَافِقُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْكَارُ المُنكِرُ لِذَلِكَ مُنْكَرٌ[1].

٢) مَا ثَبَتَ بِالِاسْتِفَاضَةِ أَوِ التَّوَاتُرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ جَوَازِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَحْنٌ، وَلَعَلَّ مُرَادَ مَنْ صَارَ إِلَى التَّخْطِئَةِ أَنَّ غَيْرَهُ أَفْصَحُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ فَصِيحًا[2].

٣) ومَنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَئِمَّةَ الْقِرَاءَةِ يَنْقُلُونَ حُرُوفَ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ، وَلَا بَصِيرَةٍ، وَلَا تَوْقِيفٍ، فَقَدْ كَانَ ظَنَّ بِهِمْ مَا هُمْ مِنْهُ مُبَرَّءُونَ، وَعَنْهُ مُنَزَّهُونَ[3].

٤) حركات الإعراب قد تحذف لأشياء، ألا ترى أنها تحذف في الوقف، وتحذف من الأسماء والأفعال المعتلّة. فلو كانت حركة الإعراب لا يجوز حذفها من حيث كانت دلالة الإعراب، لم يجز حذفها في هذه المواضع، فإذا جاز حذفها في هذه المواضع لعوارض تعرض، جاز حذفها أيضا في ما ذهب إليه سيبويه وهو التشبيه بحركة البناء، والجامع بينهما:

---

[1] ينظر: البحر المحيط ١/ ٣٣٣.

[2] الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٥٩).

[3] النشر ٢/ ٢١٤ .

أنهما جميعا زائدان. وأنها قد تسقط في الوقف والاعتلال، كما تسقط التي للبناء للتخفيف[١].

٥) سيبويه(ت١٨٠هـ) أعرف بالإعراب، واليزيدي (١٣٨ - ٢٠٢هـ) أضبط لكيفية اللفظ؛ لأن قراءة أبي عمرو إنما صحت من روايته، لا من رواية سيبويه، وقد صح الإسكان عن اليزيدي، وصحة الاختلاس لا تمنع الإسكان[٢].

٦) إسكان حركة الإعراب ليس واردا في الشعر فقط، ولم يقرأ به أبو عمرو وحده، فقد قرأ به من العشر حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ) في قوله تعالى ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر:٤٣] [٣]، بل ذكر البقاعي(ت٨٨٥هـ) أثرا دلاليا لقراءة حمزة فقال:" وقراءة حمزة بإسكان الهمزة بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم المكر وإتقانه وإخفائه جهدهم" [٤]، وقراءةُ أبي عمرو صحيحةٌ، وذلك أنَّ الهمزةَ حرفٌ ثقيل، ولذلك اجْتُرِئَ عليها بجميع أنواعِ التخفيفِ، فاسْتُثْقِلَتْ عليها الحركةُ فقُدِّرَت، وهذه القراءة تشبه قراءة حمزة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ [فاطر:٤٣] فإنه سَكَّن هَمزة ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ وَصْلاً، والكلامُ عليهما واحد، والذي حسَّنه هنا أنَّ قبلَ كسرةِ الهمزةِ راءً مكسورةً، والراءُ حرفُ تكريرٍ، فكأنه توالى ثلاثُ كَسَرات فَحَسُنَ التسكينُ[٥].

---

[١] الحجة للقراء السبعة (٢/ ٨٢) .

[٢] شرح الجعبري على الشاطبية (٣/ ١١٢٢) .

[٣] تقريب النشر ٢/ ٦٥٢ .

[٤] نظم الدرر (١٦/ ٧٥) .

[٥] الدر المصون ١/ ٣٦٣.

٧) وردت القراءات الشاذة مؤيدة لقراءة أبي عمرو، ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ قَرَأَ بِإِسْكَانِ لَامِ الْفِعْلِ مِنْ كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَغَيْرِهَا، نَحْوَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [البقرة:١٢٩] وَ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ [الأنعام:٢٢] مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ مُحَيْصِنٍ[١] أَحَدُ أَئِمَّةِ الْقُرَّاءِ بِمَكَّةَ[٢].

وقد وجَّه ابن جني (ت٣٩٢هـ) إسكان حركة الإعراب من نحو ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ بأن " علته توالي الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب"، ثم يحتج لها بقراءة أبي عمرو التي غمزها في كتابه " الخصائص" ـ كما سبق ـ فيقول:" وعليه قراءة أبي عمرو: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤] فيمن رواه بسكون الهمزة "،

---

[١] محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم ... عرض على مجاهد بن جبير ودرباس مولى ابن عباس وسعيد بن جبير، عرض عليه شبل بن عباد وأبو عمرو بن العلاء ... ، قال ابن مجاهد: وكان ممن تجرد للقراءة وقام بها في عصر ابن كثير محمد بن عبد الرحمن بن محيصن، قال ابن الجزري: وقراءته في كتاب المبهج والروضة وقد قرأت بها القرآن، ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة، ... وقال أبو عبيد: وكان من قراء مكة عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس، ومحمد بن محيصن، وكان ابن محيصن أعلمهم بالعربية وأقواهم عليها، وقال ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه، قال أبو القاسم الهذلي: مات سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة وقال القصاع وسبط الخياط: سنة اثنتين وعشرين (غاية النهاية ٢/ ١٥٧) .

[٢] النشر ٢/ ٢١٤ .

وبعدالاحتجاج بالقراءة المتواترة يثني بالشعر ثم يرد على أبي العباس المبرد(ت٢٨٥هـ) اعتراضه على الكتاب لسيبويه، فيقول:" ... ومن أبيات الكتاب:

فـاليوم أشـربْ غيـر مُسـتَحقِبٍ إثمًـــا مـــن الله ولا واغِـــلِ

أي: أشربُ.

وأما اعتراض أبي العباس هنا على الكتاب، فإنما هو على العرب لا على صاحب الكتاب؛ لأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن في الوزن أيضًا غيره. وقول أبي العباس: إنما الرواية: "فاليوم فاشرب"، فكأنه قال لسيبويه: كذبتَ على العرب، ولم تَسمع ما حكيته عنهم. وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرَف فقد سقطت كلفة القول معه. ... وهو كثير في الشعر، فكذلك قول بني تميم: (يُعلِّمْهم ويلْعَنْهم)" [١].

وقال أبو محمد المقرئ (ت نحو ٣٩٥هـ): في قوله﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ وما أشبهها " لغات: جزم ورفع واختلاس، ووجهه أن العرب إذا اجتمعت حركات ثلاث أو أربع أو أكثر يستثقلون فيجزمون بغير حرف جزم" [٢].

٢ ـ قَرَأَ ابن محيصن، ونُعَيْمُ بنُ مَيْسَرَةَ [٣]، ومسْلمة بْنُ مُحَارِبٍ[٤]

---

[١] المحتسب (١/ ١٠٩) .

[٢] نكات القرآن: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن المقرئ (١/ ١٩٦) .

[٣] نعيم بن ميسرة أبو عمرو الكوفي النحوي، نزل الري وكان ثقة، روى القراءة عرضًا عن عبد الله بن عيسى بن علي، وروى الحروف عن أبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وروى حروف أبي عبد الرحمن السلمي عن عطاء بن السائب... ، روى الحروف عنه علي بن حمزة الكسائي ... ، ويروى عنه حروف شواذ من اختياره، توفي سنة أربع وسبعين ومائة. (غاية النهاية ٢/ ٣٤٢) .

[٤] مسلمة بن عبد الله بن محارب، أبو عبد الله الفهري البصري النحوي، له اختيار في

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾ [البقرة:٢٢٨] بِإِسْكَانِ التَّاءِ [١].

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): قد سبق نحو هذا في قراءة أبي عمرو: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾، وأنشدنا فيه الأبيات التي أحدها قول جرير:

سِيُروا بني العَمّ فالأهْوَازُ مَنزِلُكمْ ونهْرُ تِيرَي وَلَا تعْرِفْكُمُ العَرَبُ[٢]

أراد: لا تعرفُكم، فأسكن الفاء استخفافًا لثقل الضمة مع كثرة الحركات" [٣].

٣ ـ ومن ذلك قال حماد بن شُعيب[٤]: قلت للأعمش(ت١٤٨هـ): ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ﴾ [النساء:١٢٠]، فقال: أيعدُهم؟ إنما هو: (يَعِدْهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدْهُم) ساكنة. قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): قد تقدم

القراءة، قال ابن الجزري: لا أعلم على من قرأ، قرأ عليه شهاب بن شرنفة، قال محمد بن سلام: كان مسلمة بن عبد الله مع ابن أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء، وقال ابن مجاهد: كان من العلماء بالعربية، وكان يقرأ بالإدغام الكبير كأبي عمرو، وروى حروفا لم يدغمها أبو عمرو، ومسلمة بن محارب بن دثار السدوسي الكوفي، عرض على أبيه، عرض عليه يعقوب الحضرمي.(غاية النهاية ٢/ ٢٩٨) .

[١] النشر ٢/ ٢١٤ والمغني في القراءات ١/ ٥١٥.

[٢] البيت من البسيط، وهو لجرير في ديوانه ص ٤٤١ .

[٣] المحتسب (١/ ١٢٣)

[٤] حماد بن أبي زياد شعيب أبو شعيب التميمي، الكوفي مقرئ جليل ضابط، ولد سنة إحدى ومائة، وأخذ القراءة عرضًا عن عاصم ولما مات عاصم قرأ على أبي بكر بن عياش وقرأ أيضًا على خالد بن جبلة اليشكري عن أبي عمرو بن العلاء ...، روى القراءة عنه عرضًا يحيى بن محمد العليمي وروح بن عبد المؤمن ابن قرة سنة سبعين ومائة وقال قرأت عليه وكان فاضلا جليلًا أدركته وقد نيف على الثمانين سنة ... ، توفي سنة تسعين ومائة. (غاية النهاية ١/ ٢٥٨)

القول على نحو هذا ما أُسكن في موضع الرفع تخفيفًا لثقل الضمة [١].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف:١٢٧] قرأ الحسن والأشهب العقيلي (ويَذَرْكَ) -بإسكان الراء-[٢].

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ):" (يذَرْكَ) بالإسكان ... كقراءة أبي عمرو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة:٦٧] ... استثقالًا للضمة مع توالي الحركات، ولم يسكن أبو عمرو ﴿يَأْمُرُهُم﴾ كما أسكن ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ ؛ وذلك لخفاء الهاء وخفتها فجاء الرفع على واجبه، وليست الكاف في ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بخفِّية ولا خفيفة خفة الهاء ولا خفاءها، فثقل النطق بها فحذف ضمتَها [٣].

٥ـ وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٧] قرأ أبو زيد ومسلمة بن محارب: (وإذ يعِدْكُمُ الله) بإسكان الدال[٤]، قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): أسكن ذلك لتوالي الحركات وثقل الضمة[٥].

٦ـ وَحَكَى الْكِسَائِيُّ(ت١٨٩هـ) وَالْفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ) ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ [هود:٢٨] بِإِسْكَانِ الْمِيمِ الْأُولَى تَخْفِيفًا [٦].

---

[١] المحتسب (١/ ١٩٩)

[٢] شواذ القرآن واختلاف المصاحف (١/ ٢٨٩)، والكشاف (٢/ ١٤٢) والبحر المحيط (٤/ ٣٦٧).

[٣] المحتسب (١/ ٢٥٦)

[٤] شواذ القرآن واختلاف المصاحف (١/ ٣٠٧) ، والمعني في القراءات (٢/ ٨٧٨).

[٥] المحتسب (١/ ٢٧٣)

[٦] الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٦.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ [النحل:٦٢] قرأ الحسن(ت١١٠هـ) ومجاهد(ت١٠٣هـ) «أَلْسِنَتْهُمْ» بسكونِ التاءِ تخفيفاً[١].

٨ـ وقرأ الحسن(ت١١٠هـ) ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾[طه:١١٣] كالجماعة، إلاَّ أنه سَكَّن لامَ الفعل، وعبد الله(ت٣٢هـ) والحسنُ أيضاً في روايةٍ ومجاهدٌ(ت١٠٣هـ) وأبو حيوة(ت٢٠٣هـ): «نُحْدِثْ» بالنون وتسكينِ اللام أيضاً، وخُرِّجَ على إجراء الوصل مُجْرى الوقفِ، أو على تسكينِ الفعل استثقالاً للحركة[٢].

٩ ـ وَقَرَأَ عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو(ت١٥٤هـ): ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ ﴾ [فاطر:٣٦] بِإِسْكَانِ الْفَاء، شَبَّهَ الْمُنْفَصِلَ بِالْمُتَّصِلِ[٣].

١٠. قرأ بعض السلف: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠] بسكونِ اللامِ، حكاها أبو زيد[٤].

١١ـ ومن ذلك قراءة الحسن: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦] جزما، قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ):

أما الجزم فتحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون بدلا من قوله: ﴿تَمْنُن﴾ حتى كأنه قال: لا تستكثر

---

[١] شواذ القرآن واختلاف المصاحف (١/ ٤٣٧) ، و الدر المصون (٧/ ٢٤٧)

[٢] الدر المصون ٨/ ١١٠.

[٣] البحر المحيط ٩/ ٣٦.

[٤] البحر المحيط(١/ ٣٣٣)، والدر المصون (٢/ ٤٤٢)، واللباب في علوم الكتاب (٤/ ١٢١)، وشرح الكافية الشافية (٣/ ١٦٣٤).

... وأنكر أبو حاتم(ت٢٥٥هـ) الجزم على البدل، وقال: لأن المن ليس بالاستكثار فيبدل منه، وبينهما من النسبة ما ذكرته لك،

وأما الوجه الآخر فإنه يكون أراد: ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾، فأسكن الراء؛ لثقل الضمة مع كثرة الحركات، [١].

١٢ـ قَرَأَ الْأَعْرَجُ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾[المرسلات:١٧] بِالْجَزْمِ [٢].

قال أبو الفتح: يحتمل جزمه أمرين:

أحدهما : أن يكون أراد معنى قراءة الجماعة: ﴿نُتْبِعُهُمُ﴾، بالرفع، فأسكن العين استثقالا لتوالي الحركات ..

والآخر: أن يكون جزءا، فيعطفه على قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ﴾ [المرسلات:١٦]، فيجري مجرى قولك: ألم تزرني ثم أعطك؟ كقولك: فأعطك ألم أحسن إليك ثم أوال ذلك عليك؟ فيكون معنى هذه القراءة أنه يريد قوما أهلكهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين إليهم شيئا بعد شيء فلما ذكر ما تقضي على اختلاف الأوقات فيه قال تعالى مستأنفا: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات:١٨]، فيكون المجرمون هنا من نهلكه من بعد، وقد يجوز أن يعني بالمجرمين من مضى منهم ومن يأتي فيما بعد، المعنيان جميعا متوجهان [٣].

وبعد ذكر هذه القراءات الشاذة وتوجيه العلماء لها نلاحظ الآتي:

❖ـ إسكان حركة الإعراب تخفيفا واردٌ عن جمع من أعلام القراءات كابن مجاهد (ت١٠٣هـ) والحسن البصري (ت١١٠هـ)

---

[١] المحتسب (٢/ ٣٣٨)

[٢] مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٧١

[٣] المحتسب (٢/ ٣٤٦).

والأعرج(ت١١٧هـ) وابن محيصن(ت١٢٣هـ) والأعمش (ت١٤٨هـ) وأبي عمرو البصري(ت١٥٤هـ) ونعيم بن ميسرة (ت١٧٤هـ) وأبي حيوة(ت٢٠٣هـ) وأبي زيد الأنصاري(ت٢١٥هـ)، والأشهب العقيلي، ومسلمة بن محارب، وحكي عن الكسائي(ت١٨٩هـ) والفراء(ت٢٠٧هـ)

❖ـ حذف حركة الإعراب تخفيفا واردٌ في الأفعال والأسماء، وروده في الأفعال أكثر.

❖ـ قول ابن جني(ت٣٩٢هـ) في الموضع الرابع" ولم يسكن أبو عمرو ﴿يَأْمُرُهُم﴾ كما أسكن ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ " [1]، محمول على رواية بعض الطرق عن أبي عمرو، فقد " خصّ الْأَهْوَازِيُّ (ت٤٤٦هـ) الخلاف بالكاف، وهو معنى قول الصَّقَلِّيُّ(ت٥١٦هـ) : ولا خلاف في ضم ﴿يَأْمُرُهُم﴾بالهاء" [2]، والمتواتر عن أبي عمرو تخفيف اللفظين.

❖ـ رأي ابن جني في كتابه (المحتسب) يختلف عن رأيه في كتابه (الخصائص)، ففي (الخصائص) يطعن في القراءة المتواترة ويصف القراء بالضعف، بينما نجده في (المحتسب) يحتج للقراءات الشاذة الواردة بحذف حركة الإعراب تخفيفا بقراءة أبي عمرو، ولعله رجع عن رأيه في الطعن في القراءات المتواترة، فإن أبا الفتح(ت٣٩٢هـ) ألَّف المحتسب وقد عَلَت به السن، وأشرف على نهاية العمر، فهو يمثل ذروة ما ألفه حين ختم به مؤلفاته الكبيرة، وهو خلاصة تجربة عميقة، وموهبة لغوية فذة، ويؤيد ذلك:

---

[1] المحتسب (١/ ٢٥٦)

[2] شرح الجعبري على متن الشاطبية (٣/ ١١٢١).

١ ـ **قوله في فاتحة الكتاب من كتاب المحتسب:**" وقد أَرينا في كتاب الخصائص وغيره من كتبنا: أن الحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تُنْزِله العرب منزلة المتحرك بها، من ذلك قولهم في الوقف على بكر: هذا بَكُر، ومررت ببكِر، ألا ترى حركتي الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها"[(١)]، وقوله" وقد دللنا في كتابنا الخصائص على تقاود الفتح والسكون، ولأنهما يكادان يجريان مجرى واحدًا في عدة أماكن"[(٢)]، وقوله:" ومن قراءة الحسن وعمرو بن عبيد: (كَأَنَّهَا جَأْنٌ) [النمل:١٠] [القصص:٣١]، قال أبو الفتح: قد تقدم القول على نظير هذا فيما مضى من الكتاب، وذكرناه أيضا في (الخصائص)، وفي (سر الصناعة)، وفي (المنصف)، وفي (التمام)، وغيره من مصنفاتنا"[(٣)].

٢ ـ قال الشَّرِيْفُ الرَّضِيُّ (٣٥٩ – ٤٠٦هـ):" كان شيخنا أبو الفتح النَّحْوِي عمل في آخر عمره كتابًا يشتمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ"[(٤)].

٣ ـ **تأكيده على أن القراءة سنة لا تُخالف**، يقول في الاحتجاج للقراءات الشاذة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام:١٣٩] :" الكلام في نصب (خَالِصًا) و(خالِصةً)، وفيه جوابان: أحدهما: أن يكون حالًا من الضمير في الظرف الجاري صلة على ﴿مَا﴾، كقولنا: الذي في الدار قائمًا زيد. والآخر: أن يكون حالًا من ﴿مَا﴾على مذهب أبي الحسن(ت٢١٥هـ)

---

(١) المحتسب (١/ ٤٧).

(٢) السابق (١/ ٥٤).

(٣) المحتسب (٢/ ١٣٥).

(٤) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ٥/ ٣٣١.

في إجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان معنى بعد أن يتقدم صاحب الحال عليها، كقولنا: زيد قائمًا في الدار، واحتج في ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فيجوز على هذا في العربية لا في القراءة؛ لأنها سنة لا تُخالَف"[1].

٤ـ تأكيده على أنه" ليس ينبغي أن يُطْلَق على شيء له وجه في العربية قائم –وإن كان غيره أقوى منه– أنه غلط"[2].

٨) العزو اللهجي: قال عباس(١٠٥ ـ ١٨٦هـ) [3]: سألت أبا عمرو(ت١٥٤هـ) عن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾[آل عمران:١٦٤] فقال: أهل الحجاز يقولون: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ﴾و﴿ يَلْعَنُهُمُ﴾ [البقرة:١٥٩] مثقلة، ولغة

---

[1] المحتسب (١/ ٢٣٣).

[2] السابق (١/ ٢٣٦).

[3] العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنظلة أبو الفضل الواقفي الأنصاري البصري قاضي الموصل أستاذ حاذق ثقة، قال الحافظ أبو العلاء: وكان من أكابر أصحاب أبي عمرو في القراءة، روى القراءة عرضًا وسماعًا عن أبي عمرو بن العلاء، وضبط عنه الإدغام، وروى القراءة أيضًا عن خارجة بن مصعب عن نافع وأبي عمرو عن مطرف بن معقل الشقري عن ابن كثير وله اختيار في القراءة ، ... وجاء عن أبي عمرو أنه قال: لو لم يكن في أصحابي إلا عباس لكفاني قال الذهبي الحافظ: وإنما لم يشتهر لأنه لم يجلس للإقراء، ولد سنة خمس ومائة وتوفي سنة ست وثمانين ومائة ... وكان عظيم القدر، جليل المنزلة في العلم والدين الورع، مقدما في القرآن والحديث من أجلاء أصحاب أبي عمرو قدم العراق فلقي أبا عمرو فقرأ عليه ثم ولي القضاء بالموصل فانتقل إليها وأقام بها قاضيًا إلى أن مات. (غاية النهاية ١/ ٣٥٣) .

تميم: (يُعْلِمْهُم) و(يلْعَنْهُم)[١]، وَعَزَاهُ الْفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ) إِلَى تَمِيمٍ وَأَسَدٍ وبعض أهل نجد، فقال :" بنو تميم وأسد وبعض أهل نجد يخففون مثل قوله ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ فيسكنون الراء لتوالي الحركات، وكذلك ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[الأنبياء:١٠٣] يُسَكِّنون النون، ويُسكّنون الميم من قوله ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾[هود:٢٨] ... يخففون في الرفع والخفض، ولا يخففون في النصب... وأهل الحجاز يُبينون ذلك ولا يُخفّفون"[٢].

وظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية، حيث إنهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد، وهو ما يهدف إليه البدوي، بعكس الحجاز المتحضرة التي تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان[٣].

٩) التفسير الصوتي: قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): أما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه؛ لأنه استيفاء واجب الإعراب؛ لكن من حذف فعنه السؤال، وعلته توالي الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب [٤]، أو إِجْرَاءٌ لِلْمُنْفَصِلِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ مَجْرَى الْمُتَّصِلِ مِنْ كَلِمَةٍ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ تَسْكِينُ مِثْلَ إِبِلٍ، فَأَجْرَى الْمَكْسُورَانِ فِي ﴿بَارِئِكُمْ﴾

---

[١] المحتسب ١/ ١٠٩ وينظر: شواذ القرآن واختلاف المصاحف (١/ ٤٣٧).

[٢] لغات القرآن للفراء (ص٨٥).

[٣] اللهجات العربية في التراث (١/ ٢٤٦).

[٤] المحتسب ١/ ١٠٩.

مَجْرَى إِبِلٍ[١]، وقال الجعبري (ت٧٢٨هـ) : وجه الإسكان طلب التخفيف " عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد أو نوعين"[٢].

والحاصل أنه قد تحذف حركة الإعراب لأسباب صوتية، كتقليل الجهد والعمل على أعضاء النطق، وإرادة السرعة في الكلام، فإن حُذفت اكتُفي حينئذ بالقرائن الإعرابية الأخرى في إفادة الوظائف النحوية[٣].

١٠) قد يؤدي الحفاظ على التناسب بين لفظتين في الازدواج إلى حذف العلامة الإعرابية، كما في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[٤].

الأصل لا تدخلون ولا تؤمنون، لأن (لا) النافية، و (لا) النافية لا تعمل في الفعل شيئًا، فحذف النون التي هي علامة الرفع للمناسبة الصوتية بين (تدخلوا) و(تؤمنوا) الأولى، وبين (تؤمنوا) الثانية و(تحابوا)، وذلك أن جميع الأفعال الأربعة تنتهي بمقطع طويل مفتوح (ص ح ح)، بالإضافة إلى اتفاق الفعلين (تدخلوا) و(تؤمنوا) مقطعيا هكذا :

ص ح ص + ص ح + ص ح ح.

وأما عن تخصيص هذه الكلم دون نظائرها فمرده إلى الرواية، قال أبو

---

[١] البحر المحيط ١/ ٣٣٣.

[٢] شرح الجعبري على الشاطبية(٣/ ١١٢٢).

[٣] القرينة الصوتية في النحو العربي، دراسة نظرية تطبيقية: د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري(ص٧٦).

[٤] سنن الترمذي (٥/ ٥٢/ ٢٦٨٨) وسنن ابن ماجة (١/ ٢٦/ ٦٨).

عمرو الداني(ت٤٤٤هـ):" إسكان الهمزة والراء تخفيفا لحشو الهمزة وتكرير الراء دون سائر ما يتوالى فيه الحركات" [١]، قال اليزيدي(١٣٨ – ٢٠٢هـ): ويلزمه أن يفعل ذلك بكل رفعتين مثل﴿ يَلْعَنُهُمُ ﴾[البقرة:١٥٩] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾[البقرة:١٢٩] فدلّ هذا على أن إطلاق القياس في نظائر ذلك مما يتوالى فيه الضمّات ممتنع في مذهبه، وذلك اختياري، وبه قرأت على أئمتي، ولم أجد في كتاب أحد من أصحاب اليزيدي﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] منصوصا، وقياس ما نصّوا عليه يدلّ على جملة نظائره، والعمل عندي في هذا الباب على الأداء؛ لأنه لو جرى على القياس خاصّة لاطرد الإسكان في سائر الكلم واللواتي الراء فيهن مضمومة وقبلها ضمّة أو كسرة وبعدها كاف وميم أو هاء وميم نحو قوله: ﴿يَحْشُرُهُمْ ﴾ [الأنعام:١٢٨]و﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠] ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ [آل عمران:٢٨] و﴿أُنذِرُكُم﴾ [الأنبياء: ٤٥] و﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ [آل عمران: ٦] و﴿يُسَيِّرُكُمْ ﴾ [يونس:٢٢] و﴿يُبَشِّرُهُمْ ﴾ [التوبة: ٢١] و﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وما كان مثله، وهذا مما لا خلاف في إشباع الحركة فيه بين أهل الأداء من مشيختنا[٢].

[١] جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٨٥٨).

[٢] السابق (٢/ ٨٦٢).

ثانيا: المستوى الصرفي

قال السهيلي:

« وَقُصَيّ اسْمُهُ: زَيْدٌ، وَهُوَ تَصْغِيرُ قَصِيّ أَيْ: بَعِيدٌ لِأَنَّهُ بَعُدَ عَنْ عَشِيرَتِهِ فِي بِلَادِ قُضَاعَةَ حِينَ احْتَمَلَتْهُ أُمّهُ فَاطِمَةُ مَعَ رَابّهِ رَبِيعَةَ بْنِ حرام... وَصُغّرَ عَلَى فُعَيْلٍ وَهُوَ تَصْغِيرُ فَعِيلٍ، لِأَنّهُمْ كَرِهُوا اجْتِمَاعَ ثَلَاثِ يَاءَاتٍ، فَحَذَفُوا إحْدَاهُنّ وَهِيَ الْيَاءُ الزّائِدَةُ الثّانِيَةُ الّتِي تَكُونُ فِي فَعِيلٍ نَحْوَ قَضِيبٍ، فَبَقِيَ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْذُوفُ لَامَ الْفِعْلِ، فَيَكُونُ وَزْنُهُ فُعَيّا، وَتَكُونُ يَاءُ التّصْغِيرِ هِيَ الْبَاقِيَةَ مَعَ الزّائِدَةِ، فَقَدْ جَاءَ مَا هُوَ أَبْلَغُ فِي الْحَذْفِ مِنْ هَذَا، وَهِيَ قِرَاءَةُ قُنْبُلٍ: ﴿يَابُنِيّ﴾ بِبَقَاءِ يَاءِ التّصْغِيرِ وَحْدَهَا، وَأَمّا قِرَاءَةُ حَفْصٍ ﴿يَبُنَيّ﴾ فَإِنّمَا هِيَ يَاءُ التّصْغِيرِ مَعَ يَاءِ الْمُتَكَلّمِ، وَلَامُ الْفِعْلِ مَحْذُوفَةٌ، فَكَانَ وَزْنُهُ فُعَيّ وَمَنْ كَسَرَ الْيَاءَ: قَالَ يَا بُنَيّ فَوَزْنُهُ: يَا فُعَيْل، وَيَاءُ المتكلم هي المحذوفة في هذه القراءة » [1].

احتج السهيلي بالقراءات المتواترة الواردة في قوله ﴿يَبُنَيّ﴾ لتأصيل اسم وارد في السيرة، وهو « قُصَيّ ».

- ـ فذكر أن « قُصَيّ » تصغير « قَصِيّ ».
- ـ ذكر علة التسمية؛ حيث إن معناه بَعِيدٌ؛ لِأَنّهُ بَعُدَ عَنْ عَشِيرَتِهِ فِي بِلَادِ قُضَاعَةَ حِينَ احْتَمَلَتْهُ أُمّهُ فَاطِمَةُ مَعَ رَابّهِ رَبِيعَةَ بْنِ حرام.
- ـ علل تصغيره على وزن« فُعَيل » واحتمل في الياء المحذوفة أمرين، ونظّر برواية قنبل في جواز الحذف.
- ـ قدم توجيها لغويا للقراءة الواردة في اللفظ الكريم.

---

[1] الروض الأنف ١/ ٤٨.

وقد تنوعت القراءات المتواترة فِي قوله ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [هود:٤٢] [يوسف:٥] [لقمان:١٣، ١٦، ١٧] [الصافات:١٠٢]، فَرَوَى حَفْصٌ بِفَتْحِ الْيَاءِ فِي السِّتَّةِ، وَافَقَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي هود، وَوَافَقَهُ فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنْ لُقْمَانَ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان:١٧] الْبَزِّيُّ وَخَفَّفَ الْيَاءَ وَسَكَّنَهَا فِيهِ، قُنْبُلٌ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ الْأَوَّلَ مِنْ لُقْمَانَ وَهُوَ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ﴾ [لقمان:١٣]بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِهَا، وَلَا خِلَافَ عَنْهُ فِي كَسْرِ الْيَاءِ مُشَدَّدَةً فِي الْحَرْفِ الْأَوْسَطِ، وَهُوَ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ [لقمان:١٦]، وَكَذَلِكَ قَرَأَ الْبَاقُونَ فِي السِّتَّةِ الْأَحْرُفِ[1].

و(بنيّ) تَصْغِيرُ (ابْنٍ) مُضَافًا إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ. وَتَصْغِيرُهُ هُنَا تَصْغِيرُ شَفَقَةٍ بِحَيْثُ يُجْعَلُ كَالصَّغِيرِ فِي كَوْنِهِ مَحَلَّ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ. فَأَصْلُهُ بُنَيْو، لِأَنَّ أَصْلَ ابْنٍ بَنْو، فَلَمَّا حَذَفُوا مِنْهُ الْوَاوَ لِثِقَلِهَا فِي آخِرِ كَلِمَةٍ ثُلَاثِيَّةٍ نَقَصَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَعَوَّضُوهُ هَمْزَةَ وَصْلٍ فِي أَوَّلِهِ، وَمَهْمَا عَادَتْ لَهُ الْوَاوُ الْمَحْذُوفَةُ لِزَوَالِ دَاعِي الْحَذْفِ طُرِحَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ، ثُمَّ لَمَّا أُرِيدَ إِضَافَةُ الْمُصَغَّرِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ لَزِمَ كَسْرُ الْوَاوِ لِيَصِيرَ بُنَيْوِي، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْوَاوُ بَيْنَ عَدُوَّتَيْهَا الْيَاءَيْنِ قُلِبَتْ يَاءً وَأُدْغِمَتْ فِي يَاءِ التَّصْغِيرِ فَصَارَ بُنَيَّي بِيَاءَيْنِ فِي آخِرِهِ أُولَاهُمَا مُشَدَّدَةٌ، وَلَمَّا كَانَ الْمُنَادَى الْمُضَافُ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ يَجُوزُ حَذْفُ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْهُ وَإِبْقَاءُ الْكَسْرَةِ صَارَ بُنَيَّ- بِكَسْرِ الْيَاءِ مُشَدَّدَةً- فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ. وَقَرَأَهُ عَاصِمٌ بُنَيَّ بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا يَجُوزُ فَتْحُهَا فِي النِّدَاءِ، أَصله يَا بُنَيِّيَ بِيَاءَيْنِ أُولَاهُمَا مَكْسُورَةٌ مُشَدَّدَةٌ وَهِيَ يَاءُ التَّصْغِيرِ مَعَ لَامِ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَصْلُهَا الْوَاوُ ثُمَّ اتَّصَلَتْ بِهَا يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ

[1] النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٨٩.

وَحُذِفَتِ الْيَاءُ الْأَصْلِيَّةُ[1].

قال أبو شامة (ت٦٦٥هـ): «أما ﴿يَبُنَّؤُمَّ﴾ بفتح الياء وكسرها فلغتان ... فعلى الكسر أصله يبني، فحذفت الياء كما تقول: يا غلام، والأصل: يا غلامي، وعلى الفتح أبدلت الياء ألفا؛ لتوالي الياءات والكسرات، ثم حذفت الألف وبقيت الفتحة دالة عليها.... ووجه الإسكان أن بعد حذف ياء الإضافة بقي ياء مشددة هي مجموع ياء التصغير وياء لام الفعل، فخفف ذلك التشديد بحذف الياء الأخيرة، وهي لام الفعل وبقيت ياء التصغير وهي ساكنة، وكأنه عند التحقيق وصل بنية الوقف فإذا وقف على المشدد جاز تخفيفه، وفي قراءة ابن كثير جمع بين اللغات الثلاث ففتح وسكن وكسر الأكثر» [2].

وقال القرطبي(ت٦٧١هـ): « وَأَصْلُ ﴿يَبُنَّؤُمَّ﴾ أَنْ تَكُونَ بِثَلَاثِ يَاءَاتٍ، يَاءُ التَّصْغِيرِ، وَيَاءُ الْفِعْلِ، وَيَاءُ الْإِضَافَةِ، فَأُدْغِمَتْ يَاءُ التَّصْغِيرِ فِي لَامِ الْفِعْلِ، وَكُسِرَتْ لَامُ الْفِعْلِ مِنْ أَجْلِ يَاءِ الْإِضَافَةِ، وَحُذِفَتْ يَاءُ الْإِضَافَةِ لِوُقُوعِهَا مَوْقِعَ التَّنْوِينِ، أَوْ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الرَّاءِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، هَذَا أَصْلُ قِرَاءَةِ مَنْ كَسَرَ الْيَاءَ، وَهُوَ أَيْضًا أَصْلُ قِرَاءَةِ مَنْ فَتَحَ، لِأَنَّهُ قَلَبَ يَاءَ الْإِضَافَةِ أَلِفًا لِخِفَّةِ الْأَلِفِ، ثُمَّ حَذَفَ الْأَلِفَ لِكَوْنِهَا عِوَضًا مِنْ حَرْفٍ يُحْذَفُ، أَوْ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الرَّاءِ.

---

[1] التحرير والتنوير ١٢/ ٧٦.

[2] إبراز المعاني ص٥١٤.

قَالَ النَّحَّاسُ(ت٣٣٨هـ): أَمَّا قِرَاءَةُ عَاصِمٍ فَمُشْكِلَةٌ، قَالَ أَبُوحَاتِمٍ(ت٢٥٥هـ): يُرِيدُ يَا بُنَيَّاهُ ثُمَّ يُحْذَفُ، قَالَ النَّحَّاسُ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ(ت٣١٥هـ) يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ الْأَلِفَ خَفِيفَةٌ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّحْوِيِّينَ جَوَّزَ الْكَلَامَ فِي هَذَا إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ(ت٣١١هـ)، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الْفَتْحَ مِنْ جِهَتَيْنِ، وَالْكَسْرَ مِنْ جِهَتَيْنِ، فَالْفَتْحُ عَلَى أَنَّهُ يُبْدَلُ مِنَ الْيَاءِ أَلِفًا، قال الله ﷻ إخبارا: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ [هود: ٧٢] ...، ثم تحذف الْأَلِفَ، لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي عَبْدَا الله فِي التَّثْنِيَةِ.

وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى أَنْ تَحْذِفَ الْأَلِفَ، لِأَنَّ النِّدَاءَ مَوْضِعُ حَذْفٍ، وَالْكَسْرُ عَلَى أَنْ تُحْذَفَ الْيَاءُ لِلنِّدَاءِ، وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى عَلَى أَنْ تَحْذِفَهَا لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ»[1].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٩ ، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٠ ، والمختار في معاني قراءات أهل الأمصار ١/ ٣٩٤ ، والكشف ١/ ٥٢٩ ، والموضح ٢/ ٦٤٤ ، ومفاتيح الغيب ١٧/ ٣٥١.

ثالثا: المستوى النحوي

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿... قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ...﴾[البقرة:١٣٣]

قال السهيلي:

« وأما الْعَلَاء، وَسُهَيْل، عَنْ أَبِيهِمَا، فقد تتخرج رواية الخفض، وهي أقرب من رواية الفتح، ويكون المعنى: آبائهما، ويكون من باب قوله ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤] جمع في معنى التثنية، لإضافته إلى ضمير الاثنين، وقد يجمع الأب على أبين، وتحذف النون للإضافة، فتقول: عن أبيهما، قال الشاعر:

فَلَمَّا تَبَيَّنَّ أَصْوَاتَنَا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَنَا بِالأَبِينَا[1]

... وقرئ في غير السبع :(نعبد إلهك وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل)[2]، قال ابن جني في المحتسب: أبيك في هذه القراءة جمع مسلم، وحذفت النون للإضافة»[3].

أولا: احتج السهيلي بالقراءة الشاذة في بيان صحة إحدى روايات الحديث النبوي الصحيح، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه « عَنِ الْعَلَاءِ،

---

[1] البيت من المتقارب لزياد بن واصل السلمي في الكتاب: ٢/ ١٠١، والمحتسب ١/ ١١٢ والشاهد فيه أنه جمع الأب على (أبين) يريد أنهن لما عرفن أصواتهم بكين إليهم، حتى يستنقذوهن، وفدّينهم، بآبائهنّ (شرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٥٢).

[2] والقراءة المتواترة ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [البقرة:١٣٣].

[3] أمالي السهيلي ص٦١.

وَسُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِمَا،... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ» [١].

قال النووي(ت٦٧٦هـ): « قَوْلُهُ (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْعَلَاءِ وَسُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ (عَنْ أَبِيهما) وهو مشكل؛ لأن العلاء هو ابن عبد الرحمن، وسهيل هو بن أَبِي صَالِحٍ وَلَيْسَ بِأَخٍ لَهُ، فَلَا يُقَالُ(عَنْ أَبِيهِمَا) بِكَسْرِ الْبَاءِ بَلْ كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ عَنْ أَبَوَيْهِمَا، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْتَبَرَ الْمَوْجُودُ فِي النُّسَخِ (عَنْ أَبَيْهِمَا) بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَيَكُونَ تَثْنِيَةَ أَبٍ عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ هَذَانِ أَبَانِ وَرَأَيْتُ أَبَيْنِ، فَتَنَّاهُ بِالْأَلِفِ وَالنُّونِ وَبِالْيَاءِ وَالنُّونِ ... قَالَ الْقَاضِي(٤٧٦ - ٥٤٤هـ): الرِّوَايَةُ فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ شُيُوخِنَا بِكَسْرِ الْبَاءِ، قَالَ وَلَيْسَ هُوَ بِصَوَابٍ، لِأَنَّهُمَا لَيْسَا أَخَوَيْنِ، قَالَ: وَوَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ أَبَوَيْهِمَا ،وَهُوَ الصَّوَابُ، قَالَ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْأَوَّلِ لَعَلَّهُ عَنْ أَبَيْهِمَا بِفَتْحِ الْبَاءِ»[٢].

ففي الحديث ثلاث صيغ:

الأولى: (عَنْ أَبِيهِمَا) بكسر الباء، وهي الأكثر من طريق الرواية، ولم يصوبها القاضي عياض وغيره. الثانية: (عَنْ أَبَوَيْهِمَا) وهي على قياس التثنية، وهي الأولى في اللغة لكونها علم ترد على حد قول النووي.

الثالثة: (أَبَيْهِمَا) بِفَتْحِ الْبَاءِ، وَيَكُونَ تَثْنِيَةَ أَبٍ عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ هَذَانِ أَبَانِ وَرَأَيْتُ أَبَيْنِ، فَتَنَّاهُ بِالْأَلِفِ وَالنُّونِ وَبِالْيَاءِ وَالنُّونِ.

ثانيا: يرى السهيلي أن رواية الخفض أقرب من رواية الفتح، ويكون المعنى: آبائهما، ويكون من باب قوله ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤] جمع في معنى التثنية، لإضافته إلى ضمير الاثنين،« وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرُوا

---

[١] صحيح مسلم (٣/ ١١٥٤/ ١٥١٥).

[٢] شرح النووي على مسلم ١٠/ ١٥٩.

الشَّيْئَيْنِ، مِنَ اثْنَيْنِ جَمَعُوهُمَا، لِأَنَّهُ لَا يُشْكِلُ... وَقِيلَ: كُلَّمَا ثَبَتَتِ الْإِضَافَةُ فِيهِ مَعَ التَّثْنِيَةِ فَلَفْظُ الْجَمْعِ أَلْيَقُ بِهِ، لِأَنَّهُ أَمْكَنُ وَأَخَفُّ»[1]، فـ« فُصَحَاءَ الْعَرَبِ يَسْتَثْقِلُونَ إِضَافَةَ الْمُثَنَّى إِلَى ضَمِيرِ التَّثْنِيَةِ ؛ أَيِ الْجَمْعَ بَيْنَ تَثْنِيَتَيْنِ»[2]، قال ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ): « وَإِذْ كَانَ الْمُخَاطَبُ مُثَنًّى كَانَتْ صِيغَةُ الْجَمْعِ فِي (قُلُوبٍ) مُسْتَعْمَلَةً فِي الِاثْنَيْنِ طَلَبًا لِخِفَّةِ اللَّفْظِ عِنْدَ إِضَافَتِهِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُثَنَّى كَرَاهِيَةَ اجْتِمَاعِ مُثَنَّيَيْنِ فَإِنَّ صِيغَةَ التَّثْنِيَةِ ثَقِيلَةٌ لِقَلَّةِ دَوَرَانِهَا فِي الْكَلَامِ. فَلَمَّا أُمِنَ اللَّبْسُ سَاغَ التَّعْبِيرَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ عَنِ التَّثْنِيَةِ. وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ لِلْعَرَبِ غَيْرُ جَارٍ عَلَى الْقِيَاسِ. وَذَلِكَ فِي كُلِّ اسْمٍ مُثَنًّى أُضِيفَ إِلَى اسْمٍ مُثَنًّى فَإِنَّ الْمُضَافَ يَصِيرُ جَمْعًا .. وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ وَأَفْصَحُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُعَبِّرُوا بِلَفْظِ الْجَمْعِ مُضَافًا إِلَى اسْمِ الْمُثَنَّى لِأَنَّ صِيغَةَ الْجَمْعِ قَدْ تُطْلَقُ عَلَى الِاثْنَيْنِ فِي الْكَلَامِ فَهُمَا يَتَعَاوَرَانِ. وَيَقِلُّ أَنْ يُؤْتَى بِلَفْظِ الْمُفْرَدِ مُضَافًا إِلَى الِاسْمِ الْمُثَنَّى»[3].

ثالثا: ذكر السهيلي أنه قد يجمع الأب على أبين، وتحذف النون للإضافة، فتقول: عن أبيهما، ففي لسان العرب:" الأَبُ: أَصله أَبَوٌ، بِالتَّحْرِيكِ، لأَن جَمْعَهُ آباءٌ مِثْلَ قَفًا وأَقفاء، ورَحىً وأَرْحاء، فَالذَّاهِبُ مِنْهُ واوٌ لأَنك تَقُولُ فِي التَّثْنِيَةِ أَبَوَانِ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقُولُ أَبَانِ عَلَى النَّقْص، وَفِي الإِضافة أَبَيْكَ، وإِذا جُمِعَتْ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ قُلْتَ أَبُونَ، وَكَذَلِكَ أَخُونَ وحَمُون وهَنُونَ" [4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٨٨.

[2] تفسير المنار ٦/ ٣١٤.

[3] التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٥٧.

[4] لسان العرب (أ ب).

رابعا: استشهد السهيلي لهذا الاستعمال اللغوي بالشعر العربي والقراءة الشاذة، ونقل وجهها عن ابن جني في المحتسب، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [البقرة:١٣٣] قرأ ابْنُ عَبَّاسٍ و الْحَسَنُ وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ وَعاصم الْجَحْدَرِيُّ وَأَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ بخلاف «وإله أبيك» [(١)]، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا - أَنْ يَكُونَ أَفْرَدَ وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ، وَكُرِهَ أَنْ يُجْعَلَ إِسْمَاعِيلَ أَبًا لِأَنَّهُ عَمَّ. قَالَ النَّحَّاسُ(ت٣٣٨هـ): وَهَذَا لَا يَجِبُ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْعَمَّ أَبًا[(٢)].

الثَّانِي - عَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ أَنْ يَكُونَ" أَبِيكَ" جَمْعُ سَلَامَةٍ، حَكَى سِيبَوَيْهِ أَبٌ وَأَبُونَ وَأَبِينَ [(٣)].

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): قول ابن مجاهد(ت٣٢٤هـ) بالتوحيد لا وجه له؛ وذلك أن أكثر القراءة: ﴿وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ جمعًا كما ترى، فإذا كان أبيك واحدًا كان مخالفًا لقراءة الجماعة؛ فتحتاج حينئذ إلى أن يكون أبيك هنا واحدًا في معنى الجماعة، فإذا أمكن أن يكون جمعًا كان كقراءة الجماعة، ولم يحتج فيه إلى التأول لوقوع الواحد موقع الجماعة، وطريق

[(١)] نسبت لابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدري وأبي رجاء بخلاف (المحتسب ١/ ١١٢ ، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ١٠١ ، والمغني في القراءات ١/ ٤٦٥، والمحرر الوجيز ١/ ٢١٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٣٨ والبحر المحيط ١/ ٦٤١).

[(٢)] قال أبو جعفر: هذا لا يجب، لأن العرب تسمّي العم أبا، وأيضا فإنّ هذا بعيد لأنه يقدر: وإله إسماعيل وإله إسحاق فيخرج وهو أبوه الأدنى من نسق إبراهيم ففي هذا من البعد ما لا خفاء به (إعراب القرآن للنحاس ١/ ٨٠).

[(٣)] المحرر الوجيز ١/ ٢١٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٣٨ .

ذلك أن يكون (أبيك) جمع أب على الصحة، على قولك للجماعة: هؤلاء أبون أحرار؛ أي: آباء أحرار، وقد اتسع ذلك عنهم. ومن أبيات الكتاب:

فَلَمَّـــا تَبَـــيَّنَّ أَصْـــوَاتَنَا بَكَـــيْنَ وَفَـــدَّيْنَنَا بِالأَبِينَـــا[1]

... ويؤكد أن المراد به الجماعة ما جاء بعده من قوله: ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ فأبدل الجماعة من أبيك، فهو جماعة لا محالة؛ لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل؛ فيصير قوله تعالى: "وإله أبيك " كقوله: وإله ذويك، هذا هو الوجه، وعليه فليكن العمل [2].

---

[1] سبق تخريجه.

[2] المحتسب ١/ ١١٢.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ ﴾[هود:٦٦]

استشهد السهيلي بالقراءات المتواترة لبيان تنوع الرواية في قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ مَدَّهُ لِلرُّؤْيَةِ، فَهُوَ لِلَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ»[1]، وقوله «فَهُوَ) أَيْ رَمَضَانُ «لِلَيْلَةِ رَأَيْتُمُوهُ) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ(ت٨٥٢هـ) بِإِضَافَةِ " لَيْلَةِ " إِلَى الْجُمْلَةِ، وَفِي النُّسَخِ الْمُصَحَّحَةِ بِالتَّنْوِينِ، وَيَدُلُّ مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ " أَيُّ لَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ " غَايَتُهُ أَنَّهُ يُقَدَّرُ فِيهَا فِيهِمَا، وَالْمَعْنَى رَمَضَانُ حَاصِلٌ لِأَجْلِ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ[2].

قال السهيلي:

" وأما من رواه: لليلةَ رأيتموه، فهو حسن، لأن الظرف إذا أضيف إلى غير معرب ولا متمكن حسن فيه البناء على الفتح، والإعراب أيضا، كما قال سبحانه ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ﴾[هود:٦٦] و﴿يَومَئِذٍ﴾ "[3].

---

[1] صحيح مسلم (٢/ ٧٦٥/ ١٠٨٨) وتمامه: عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا لِلْعُمْرَةِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا بِبَطْنِ نَخْلَةَ قَالَ: تَرَاءَيْنَا الْهِلَالَ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ لَيْلَتَيْنِ، قَالَ: فَلَقِينَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقُلْنَا: إِنَّا رَأَيْنَا الْهِلَالَ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: هُوَ ابْنُ لَيْلَتَيْنِ، فَقَالَ: أَيَّ لَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالَ فَقُلْنَا: لَيْلَةَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ مَدَّهُ لِلرُّؤْيَةِ، فَهُوَ لِلَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ». أَيْ جَعَلَ مُدَّةَ رَمَضَانَ زَمَانَ رُؤْيَةِ الْهِلَالِ (مرقاة المفاتيح ٤/ ١٣٧٩). وإذا رؤي الْهِلَالُ كَبِيرًا فَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: لَا يُعَوَّلُ عَلَى كِبَرِهِ وَلَا عَلَى صِغَرِهِ وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ لَيْلَتِهِ(الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٤٤).

[2] مرقاة المفاتيح ٤/ ١٣٧٩.

[3] أمالي السهيلي ص٥٢.

وقد تنوعت القراءات المتواترة فِي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود:٦٦] ، ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج:١١] فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَالْكِسَائِيُّ بِفَتْحِ الْمِيمِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا مِنْهُمَا[١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾[النمل:٨٩] قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَالْكُوفِيُّونَ بِفَتْحِ مِيمِ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا[٢].

والقاعدة تقول: إذا أضيف اسْم مُعرب إِلَى مَبْنِيّ بني على الْفَتْح عِنْد قوم، وَترك معربًا عِنْد قوم أخر، كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود:٦٦] [٣]، فَمَنْ قَرَأَ بِالْفَتْحِ فَعَلَى أَنَّ يَوْمَ مُضَافٌ إِلَى (إِذْ) وَأَنَّ(إِذْ) مَبْنِيٌّ، وَالْمُضَافُ إِلَى الْمَبْنِيِّ يَجُوزُ جَعْلُهُ مَبْنِيًّا، أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُضَافَ يَكْتَسِبُ من المضاف إليه التعريف والتنكير فكذا هاهنا، وَأَمَّا الْكَسْرُ فِي(إِذْ) فَالسَّبَبُ أَنَّهُ يُضَافُ إِلَى الْجُمْلَةِ مِنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ تَقُولُ: جِئْتُكَ إِذِ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ، فَلَمَّا قُطِعَ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ نُوِّنَ لِيَدُلَّ التَّنْوِينُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ كُسِرَتِ الذَّالُ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ التَّنْوِينِ، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالْكَسْرِ فَعَلَى إِضَافَةِ الْخِزْيِ إِلَى الْيَوْمِ وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَى الْمَبْنِيِّ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا لِأَنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةَ غَيْرُ لَازِمَةٍ[٤].

قال أبو شامة:" فأما جرها فظاهر؛ لأنه اسم أضيف إليه ما قبله فكان مجرورًا، أما وجه الفتح، فكونه أضيف إلى غير متمكن، وهو (إذ)، وهذه

---

[١] النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٨٩.
[٢] السابق ٢/ ٣٤٠.
[٣] الكليات ص١٠٣٣.
[٤] مفاتيح الغيب ١٨/ ٣٧٠.

حالة كل ظرف لزم الإضافة إذا أضيف إلى غير متمكن، ويجوز أن لا يبنى وعليه القراءة الأخرى، أما الذي في النمل وهو: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [النمل:٨٩]، فزاد على فتح الميم عاصم وحمزة لكنِ الكوفيون نونوا قبله ﴿مِّن فَزَعٍ﴾[النمل:٨٩]"[1].

- وعن أَنَس بْن مَالِكٍ: أَنَّ خَيَّاطًا دَعَا النَّبِيَّ ^ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، فَذَهَبْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَرَّبَ خُبْزَ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ القَصْعَةِ»، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ بَعْدَ يَوْمِئِذٍ [2]، قَالَ الطِّيبِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ (بَعْدَ) مُضَافًا إِلَى مَا بَعْدَهُ، كَمَا جَاءَ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ[3] بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنْ يَكُونَ مَقْطُوعًا عَنِ الْإِضَافَةِ، وَقَوْلُهُ: (يَوْمِئِذٍ) بَيَانٌ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ الْمَحْذُوفِ فَيَجُوزُ الْوَجْهَانِ حِينَئِذٍ كَمَا قُرِئَ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[هود:٦٦] [4].

- واستشهد أبو الفرج المعافى بن زكريا (ت: ٣٩٠هـ) بهذا التنوع القرائي على تعدد الرواية في الشعر، فقد رويت كلمة(حين) بفتح النون وكسرها من قول ذي الرمة:

علىٰ حينَ رَاهَقتُ الثّلاثينَ، لِداتي، وكادَ الحِلمُ بالجَهلِ

قال أبو الفرج:" وقولُ ذِي الرمَّة:

علىٰ حينَ رَاهَقتُ الثّلاثينَ، .....

---

[1] إبراز المعاني ص٥١٥.

[2] صحيح البخاري (٧/ ٧٨/ ٥٤٣٦).

[3] شرح السنة للبغوي (١١/ ٣٠٢) .

[4] مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٧٠٠.

[5] البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٧٧.

بِنصب(حِين)، هَكَذَا رويناَهُ، وَهُوَ الْوَجْه المتَّفقُ عَلَى صِحَّته فِي الْإِعْرَاب.

وَالْمُخْتَار عِنْد كثير من نُظار النُّحاة الْفَتْح لِإِضَافَتِهِ إِلَى مبنيٍ غَيْر مُعْرب، وَذَلِكَ (راهقت) الَّذِي هُوَ فعل مَاض كَمَا قَالَ الشَّاعِر:

عَلَىٰ حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَىٰ فَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[1]

وعَلى هَذَا الْوَجْه قِرَاءَة من قَرَأَ من قرأ ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود:٦٦]وَمن قَرَأَ: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾[المعارج:١١] "[2]، فَبِنَاءُ الظَّرْفِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَجْوَدُ، وَإِعْرَابُهُ جَائِزٌ[3].

---

[1] البيت من الطويل لنَابِغَة ذُبْيَانَ في ديوانه ص١١٠ وهو من شواهد الكتاب ١/ ٢٦٩. على إضافة "حين" إلى الفعل وبناؤها معه على الفتح، وإعرابها على الأصل جائز، و"عاتبت": لمت في تسخط، "الصبا" -بكسر الصاد- اسم الصبوة، وهي ميل إلى هوى النفس واتباع شهواتها، "المشيب" هو ابيضاض المسوَدّ من الشعر وقد يراد به الدخول في حده، أصح" فعل مضارع مأخوذ من الصحو وهو زوال السكر، "وازع" زاجر، كاف.

المعنى: أسلبت العبرة وقت معاتبتي الشيب حين حل وارتحل الصبا وقلت لنفسي موبخا: كيف لا أفيق من غفلتي والشيب أكبر زاجر.

[2] الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص٢٨٤.

[3] أضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٣٨٢.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾[طه:٦١]

أورد السهيلي قراءة غير متواترة في قوله ـ تعالى ـ ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ واحتج بالقراءتين في رواية الحديث النبوي وذلك في موضعين:

الأول: قال السهيلي:

> قوله " لا تلبسوا علينا فنتحمله عنكم"، يجوز فيه النصب والجزم، مثل قوله ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ﴾ [طه:٦١] وقد قرئ (فيسحتْكم)، فمن نصب فالنهي واحد، ومن جزم فالنهي نهيان"[(١)].

أما عن الحديث الذي ذكره فعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: إِنِّي طَلَّقْتُ امْرَأَتِي ثَمَانِيَ تَطْلِيقَاتٍ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «فَمَاذَا قِيلَ لَكَ»؟ قَالَ: قِيلَ لِي إِنَّهَا قَدْ بَانَتْ مِنِّي، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «صَدَقُوا، مَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَهُ، وَمَنْ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ لَبَّسَا جَعَلْنَا لَبْسَهُ مُلْصَقًا بِهِ، لَا تَلْبِسُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَنَتَحَمَّلُهُ عَنْكُمْ، هُوَ كَمَا يَقُولُونَ»[(٢)].

وَقَوْلُهُ -رضي الله عنه- "لَا تَلْبِسُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَنَتَحَمَّلُهُ عَنْكُمْ"، هُوَ كَمَا يَقُولُونَ يُرِيدُ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ عَلَى غَيْرِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ وَلَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ الْمُفْتِيَ لَا يَتَحَمَّلُ لَهُ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ وَلَا يُوقِعُ هَذَا ثَلَاثَ تَطْلِيقَاتٍ فِي لَفْظٍ

---

(١) أمالي السهيلي ص٧٤.

(٢) موطأ مالك (٢/ ٥٥٠/ ٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٦٣/ ١٧٨١١) والمعجم الكبير (٩/ ٣٢٦/ ٩٦٢٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٥٤٨/ ١٤٩٦٢)

وَاحِدٍ فَيَقُولُ لَهُ الْمُفْتِي: إِنَّهَا طَلْقَةٌ وَاحِدَةٌ حَتَّى يُفَرِّقَهَا؛ لِأَنَّ جَمْعَ الطَّلَاقِ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله تَعَالَى، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي ظَاهِرُ الْقُرْآنِ تَفْرِيقَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فَمَنْ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ بِإِيقَاعِ الطَّلَاقِ بِلَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ جَعَلَ ذَلِكَ بِمَعْنَى أَنَّهُ أَلْزِمَ الثَّلَاثَ[1].

قال الزرقاني(ت١١٢٢هـ):" (وَمَنْ لَبَسَ) ـ بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ ـ خَلِطَ (عَلَى نَفْسِهِ لَبْسًا) بِإِسْكَانِ الْمُوَحَّدَةِ خَلْطًا (جَعَلْنَا لَبْسَهُ مُلْصَقًا بِهِ لَا تَلْبِسُوا) بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ (عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَنَتَحَمَّلُهُ عَنْكُمْ هُوَ كَمَا يَقُولُونَ) إِنَّهَا بَانَتْ مِنْكَ"[2].

الموضع الثاني:

عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبِ المَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لاَ يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا أَبَا القَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ، قَالَ: «(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)». قَالَ الأَعْمَشُ(ت١٤٨هـ): هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا[3].

---

[1] المنتقى شرح الموطأ ٤/ ٥.

[2] شرح الزرقاني على الموطأ ٣/ ٢٥٣.

[3] صحيح البخاري (١/ ٣٧/ ١٢٥). قال ابن حجر(ت٨٥٢ هـ):" هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا أَيْ قِرَاءَةِ الْأَعْمَشِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ فِي السَّبْعَةِ بَلْ وَلَا فِي الْمَشْهُورِ مِنْ غَيْرِهَا"

قال السهيلي:

وأما حديث اليهودي " لا تسألوه لا يجيء بأمر تكرهونه" فالنصب فيه بعيد، وله وُجَيه، وهو أن ينتصب بمعنى أن ... ومن رفع فذلك المعنى يريد ...وأما الجزم في قوله " لا يجئ" فهو عندي على النهي، كما تقول: لا يَجِدْ عليك ولا يَشْتِمْك عمرو، أوقعت النهي على المسبب، وأنت تريد السبب، أي لا تتعرض لموجدته وشتمه، وعلى نحو هذا قرئ ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ﴾ بالعطف، أي: لا تفتروا ولا يسحتكم، عطف النهي، والنهي الثاني نهي عن التعرض للسحت ... فالثلاثة الأوجه جائزة في الحديث المذكور على أصول النحويين أجمعين"[1].

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ):" قَوْله (لَا تسألوه لَا يَجِيء) فِي رِوَايَتِنَا بِالْجَزْمِ عَلَى جَوَابِ النَّهْيِ، وَيَجُوزُ النَّصْبُ وَالْمَعْنَى لَا تَسْأَلُوهُ خَشْيَةَ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ بِشَيْءٍ. وَيَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ" [2].

وأما عن القراءة التي احتج بها وهي ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ بالجزم فلم أقف عليها فيما لدي من مصادر القراءات الشاذة[3] والوارد في القول الكريم من

(فتح الباري ١/ ٢٢٤).

[1] أمالي السهيلي ص٨٣ ـ ٨٦ (بتصرف).

[2] فتح الباري ١/ ٢٢٤.

[3] ينظر: القراءات الشاذة لابن خالويه (ص٩١) ، والمحتسب (٢/ ٥٤) ، والكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (ص٥٩٨) ، وإعراب القراءات الشواذ (٢/ ٧٥) ،والمغني في القراءات لابن الدهان (٣/ ١٢٣١) ، وطوالع النجوم في موافق المرسوم في القراءات الشاذة عن المشهور للواسطي (ص٩٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٢٤٩) ، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (٧/ ٤٦٥٦) ، والكشاف (٣/ ٧٢) ، والمحرر الوجيز (٤/ ٥٠) ، وزاد المسير (٣/ ١٦٤) ،

قراءات ما ذكره ابن الجزري(ت ٨٣٣هـ) أنه قد " قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ وَرُوَيْسٌ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْحَاءِ، وَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهِمَا" [١]، قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب [٢]، والأولى مِنَ الْإِسْحَاتِ وَالثانية مِنَ السُّحْتِ، وَالْإِسْحَاتُ لُغَةُ أَهْلِ نَجْدٍ وَبَنِي تَمِيم، وَالسُّحْتُ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ[٣]، يُقَالُ فِيهِ: سَحَتَ وَأَسْحَتَ بِمَعْنًى [٤]، وأَصلُ هذه المادةِ الدلالةُ على الاستقصاءِ والنَّفاد، ومنه سَحَتَ الحالقُ الشَّعْرَ أي: استقصاه فلم يتركْ منه شيئًا، ويستعملُ في الإهلاك والإذهاب، ونصبُه بإضمار «أَنْ» في جواب النهي[٥]، ومعنى ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه: ٦١] إن افتريتم أسحتكم[٦].

والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢١٥) ، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٩) ، والدر المصون (٨/ ٦٠) ، وروح المعاني (٨/ ٥٣٢) ، وتاج العروس (س ح ت).

[١] تقريب النشر في القراءات العشر (٢/ ٥٩٧).

[٢] جامع البيان للطبري ١٨/ ٣٢٦.

[٣] مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٦٥.

[٤] الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٥.

[٥] الدر المصون ٨/ ٦١.

[٦] همع الهوامع (٢/ ٣٩٥).

رابعا: المستوى الدلالي

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[يوسف:٣٣]

قال السهيلي شارحا قول ابْن إسْحَاقَ:

«ثُمّ إنّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إلَى الشّامِ، فَلَمّا تَهَيّأَ لِلرّحِيلِ، وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبّ به رسول الله ﷺ- فيما يزعمون- فرقّ له، وَقَالَ: وَاَللّهِ لَأَخْرُجَنّ بِهِ مَعِي، وَلَا يُفَارِقُنِي، وَلَا أُفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ. فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ...»: « فَصَبّ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بِعَمّهِ: الصّبَابَةُ: رقّة الشوق، يقال: صببت- بكسر الماء- أَصَبّ، وَيُذْكَرُ عَنْ بَعْضِ السّلَفِ أَنّهُ قَرَأَ: ﴿ أَصَبُّ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[يوسف:٣٣]» [(١)] .

نظَّر السهيلي بقراءة ﴿ أَصَبُّ ﴾ بفتح الصاد ورفع الباء وتشديدها، وهي قراءة شاذة نسبت لابن السميفع اليماني[(٢)]، ويختلف جذرها اللغوي عن قراءة الجمهور، فقراءة الجمهور من الجذر اللغوي (ص ب و)، و" الصَّادُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ صَحِيحَةٍ: الْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى صِغَرِ السِّنِّ، وَالثَّانِي رِيحٌ مِنَ الرِّيَاحِ، وَالثَّالِثُ الْإِمَالَةُ .... فَالْأَوَّلُ وَاحِدُ الصِّبْيَةِ وَالصِّبْيَانِ، وَرَأَيْتُهُ فِي صِبَاهُ، أَيْ صِغَرِهِ..... وَمِنَ الْبَابِ: صَبَا إِلَى الشَّيْءِ يَصْبُو ؛ إِذَا مَالَ

[(١)] الروض الأنف٢/ ٢٢٠.

[(٢)] ينظر: مختصر ابن خالويه ص٦٤ وشواذ القرآن واختلاف المصاحف لابن أبي نصر الكرماني ١/ ٣٨٦ والمغني لابن الدهان ٣/ ١٠٢٦.

وابن السميفع هو: محمد بن عبد الرحمن بن السميفع -بفتح السين- أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه... قيل: إنه قرأ على نافع وقرأ أيضا على طاووس بن كيسان عن ابن عباس (غاية النهاية ٢/ ١٦٢).

قَلْبُهُ إِلَيْهِ، وَالِاشْتِقَاقُ وَاحِدٌ، وَالِاسْمُ الصَّبْوَةُ"[١]، والمراد هنا الأصل الثالث، وصَبا إليه صَبْوةً وصُبُوّاً: حَنَّ... وأَصْبَتْه المرأَةُ وتَصَبَّتْه: شاقَتْه ودَعَتْه إِلى الصِّبا فحَنَّ لَهَا وصَبا إِليها، وصَبِيَ: مالَ، وَكَذَلِكَ صَبَتْ إِليه وصَبِيَتْ، وتَصَبَّاها هُوَ: دَعاها إِلى مِثْل ذَلِكَ، وتَصَبَّاها أَيضاً: خدَعها وفَتَنها... قَالَ أَبو الْهَيْثَم: صَبا فُلان إِلى فُلَانَةَ وصَبا لَهَا يَصْبُو صَبًا مَنْقُوصٌ وصَبْوَةً أَي مالَ إِليها....وصَبا يَصْبُو، فَهُوَ صابٍ وصَبِيٌّ مِثْلَ قادرٍ وقَدِيرٍ"[٢] .

فمعنى قراءة الجمهور﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أَيْ أَمِلْ إِلَيْهِنَّ، مِنْ صَبَا يَصْبُو إِذَا مَالَ وَاشْتَاقَ صَبْوًا وَصَبْوَةً، ... أَيْ إِنْ لَمْ تَلْطُفْ بِي فِي اجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ وَقَعْتُ فِيهَا [٣].

وأما القراءة الشاذة فمن الجذر اللغوي (ص ب ب)، و" الصَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِرَاقَةُ الشَّيْءِ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلِّهِ، مِنْ ذَلِكَ صَبَبْتُ الْمَاءَ أَصُبُّهُ صَبًّا... وَالصَّبَابَةُ مِنْ صَبَّ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ صَبٌّ، إِذَا غَلَبَهُ الْهَوَى، وَهُوَ مِنَ انْصِبَابِ الْقَلْبِ"[٤]، والصَّبَابَة: الشَّوْقُ أَو رِقَّتُه وحَرَارَتُه أَو رِقَّةُ الْهَوَى، صَبِبْتَ يَا رَجُلُ إِليه بالكَسْرِ صَبَابَةً كَقَنِعْتَ قَنَاعَةً فَأَنْتَ صَبٌّ أَي عَاشِقٌ مُشْتَاق، وَهِي صَبَّة .... وَعَن ابْنِ الأَعْرَابِيّ: صَبَّ الرجلُ إِذا عَشِق يَصَبُّ صَبَابَةٌ، ورَجُلٌ صَبٌّ،... وأَصله صَبِبٌ فاستَثْقَلوا الجَمْعَ بَيْنَ بَاءَيْن متَحَرِّكَتَيْن فأَسْقَطُوا حَرَكَة البَاء الأُولَى وأَدْغَمُوهَا فِي الثَّانِيَة" [٥].

---

[١] مقاييس اللغة (ص ب و) ٣/ ٣٣١.

[٢] لسان العرب (ص ب و) .

[٣] زاد المسير ٢/ ٤٣٧ والجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٨٥ .

[٤] مقاييس اللغة (ص ب ب) ٣/ ٢٨٠.

[٥] تاج العروس (ص ب ب) .

قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ):" ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إليهنّ. والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصبا، لأنّ النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها، وقرئ: ﴿ أَصَبُّ إِلَيْهِنَّ﴾ ، من الصَّبابة[1]، وقوله ﴿أَصْبُ﴾ كَلِمَةٌ مُشْعِرَةٌ بِالْمَيْلِ فَقَطْ، لَا بِمُبَاشَرَةِ الْمَعْصِيَةِ....، وَالصَّبَابَةُ إِفْرَاطُ الشَّوْقِ، كَأَنَّهُ يَنْصَبُّ فِيمَا يَهْوَى [2] ، وكأن هذه الجملة الأخيرة رابطة دلاليا بين الجذرين.

وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ):"﴿أَصْبُ﴾أي أمل ميلاً عظيماً"[3] .

---

[1] الكشاف ٢/ ٤٦٧ .

[2] البحر المحيط ٦/ ٢٧٣ .

[3] نظم الدرر ١٠/ ٧٦.

خامسا: الضبط اللغوي

قال السهيلي:

« سُنَيْنَة الْمَقْتُول[1]، كَأَنَّهُ تَصْغِيرُ سِنّ. وَقَالَ ابْنُ هِشَام فِي اسْمِهِ: سُبَيْنَةُ بِالْبَاءِ كَأَنَّهُ مصغر تصغير الترخيم مِنْ سَبَنِيّة، قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ: السّبَنِيّةُ ضَرْبٌ مِنْ النّبَاتِ، وَأَمّا شُنَيْنَةُ بِالشّيْنِ الْمَنْقُوطَةِ. فَوَالِدُ صِقْلَاب بْنِ شُنَيْنَةَ قَرَأَ عَلَى نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْم، وَقَالَ: قَالَ لِي نَافِعٌ: يَا صِقْلَابُ، بَيِّن النّون عِنْدَ الْحَاءِ وَالْخَاءِ وَالْعَيْنِ وَالْغَيْنِ وَالْهَاءِ وَالْأَلِفِ » [2].

ولي مع هذا النص وقفات:

الوقفة الأولى:

استطرد السهيلي في هذا النص إلى ذكر عَلَمٍ من أعلام القراءات في سياق ضبط اسم من الأسماء الواردة في السيرة تتشابه في الخط، وهو وما يطلق عليه« المؤتلف والمختلف والمتقارب في اللفظ والمعنى والمتشابه الحروف في الكتابة من أسماء ... مما يفصل بينه الشكل والنقط واختلاف الأبنية» [3].

قال النووي (ت: ٦٧٦هـ): « الْمُؤْتَلِفُ وَالْمُخْتَلِفُ: هُوَ فَنٌّ جَلِيلٌ يَقْبُحُ

---

[1] قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ، فَوَثَبَ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ... عَلَى ابْنِ سُنَيْنَةَ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ سُبَيْنَةُ رَجُلٌ مِنْ تُجَّارِ يَهُودَ (سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨).

[2] الروض الأنف٥/ ٤٤٧.

[3] المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الآمدي ص٧ تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

جَهْلُهُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ...، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ يَكْثُرُ خَطَؤُهُ، وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ فِي الْخَطِّ دُونَ اللَّفْظِ » [1].

قال ابن مَاكُوْلا (ت: ٤٧٥هـ) [2] في ضبط اسم قارئنا الذي ذكره السهيلي: « وأما شُنَيَنَة ـ الشين مُعْجمَة مَضْمُومَة والنونان مفتوحتان بَينهمَا الْمُثَنَّاة تَحت سَاكِنة ـ فهو سقلاب بن شنينة، مصري، قرأ على نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم وليث بن سعد، روى عنه يونس بن عبد الأعلى، وشنينة بطن من عقيل منهم جماعة من أمرائها» [3]، تُوُفّي سنة إحدى وتسعين ومائة[4]، وكان يقرئ في أيام ورش [5]، وفي تاج العروس:" وشُنَيْنَةُ،

---

[1] التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: للنووي ص١٠٦.

[2] ابْنُ مَاكُوْلا عَلِيُّ بنُ هِبَةِ اللهِ بنِ عَلِيٍّ العِجْلِيُّ المَوْلَى، الأَمِيْرُ الكَبِيْرُ، الحَافِظُ، النَّاقِدُ، النَّسَّابَةُ، الحُجَّةُ، أَبُو نَصْرٍ (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٩) قال ابن خلكان :" وكان أحد الفضلاء المشهورين، تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء الأعلام وجمع منها شيئًا كثيراً، وكان الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد قد أخذ كتاب الحافظ أبي الحسن الدارقطني المسمى المختلف والمؤتلف وكتاب الحافظ عبد الغني بن سعيد الذي سماه " مشتبه النسبة " وجمع بينهما، وزاد عليهما، وجعله كتابًا مستقلاً سماه " المؤتنف تكملة المختلف "؛ وجاء الأمير أبو نصر المذكور وزاد على هذا " المؤتنف " وضم إليه الأسماء التي وقعت له، وجعله أيضًا كتابًا مستقلاً سماه " الإكمال " وهو في غاية الإفادة في رفع الالتباس والضبط والتقييد، وعليه اعتماد المحدثين وأرباب هذا الشأن، فإنه لم يوضع مثله ولقد أحسن فيه غاية الإحسان" (وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥).

[3] الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: لابن ماكولا ٤/ ٢٦٤.

[4] تاريخ الإسلام ٤/ ١١١٦.

[5] معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/ ١٦٠.

كجُهَيْنَةَ: ... والِدُ سِقْلابٍ المقرئ" [١].

وقد أصاب التصحيفُ الترجمةَ الواردة في غاية النهاية لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) حيث ورد فيها: « سقلاب بن شيبة أبو سعيد المصري، قرأ القرآن عرضا على نافع بن أبي نعيم، قال الداني وروى عنه كتاب التمام، وكان يقرئ بمصر مع ورش، روى القراءة عنه يوسف بن عمر الأزرق، ويونس بن عبد الأعلى، وروى عنه أنه قال: قال لي نافع بين النون في هذه الأحرف إذا لقيتها عند الحاء والخاء والعين والغين والألف والهاء، مات سنة إحدى وتسعين ومائة" [٢]، والسَّقْلَبَةُ ... مَصْدَر سَقْلَبَه إِذَا صَرَعَه، والسَّقْلَبُ: اسمٌ، وجِيلٌ من النَّاسِ، ... والمشهورُ على الأَلْسِنَة فِي الحِيلِ بالصَّاد[٣].

ولعل هذا من إبدال السين صادا، والعلاقة الصوتية تسيغ ذلك.

الوقفة الثانية:

اعتمد السهيلي في الضبط على ضبط العبارة لا ضبط القلم،« قَالَ الْحَافِظ أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن نَاصِر الدِّمَشْقِي: إِن ضبط القَلَم لَا يُؤْمَن التحريفُ عَلَيْهِ، بل يتطرَّق أَوْهَامَ الظانِّين إِلَيْهِ، لَا سيّما من عِلْمه من الصُّحف بالمطالعة، من غير تَلَقٍّ من الْمَشَايِخ، وَلَا سُؤال وَلَا مُرَاجعَة....

---

[١] تاج العروس (ش ن ن).

[٢] غاية النهاية ١/ ٣٠٨.

[٣] تاج العروس(س ق ل ب) ١/ ٩ ..

وعَن أبي عَمْرو ابْن الصَّلاح: وَأما التَّصْحِيف فسبيل السَّلامة مِنْهُ الْأَخْذ من أَفْوَاه أهلِ العِلم والضبط، فَإِن من حُرم ذَلِك وَكَانَ أخذُه وتعلُّمه من بطُون الْكتب كَانَ من شَأْنه التحريف، وَلم يُفلِتْ من التبديل والتصحيف» [1].

الوقفة الثالثة:

أورد السهيلي نص نافع متضمنا مصطلح «البيان» الذي يكون في النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق وهو ما يطلق عليه عند علماء الأداء مصطلح «الإظهار»، يقول سيبويه(ت١٨٠هـ): « وتكون[2]مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بينةً، موضعها من الفم، وذلك أن هذه الستة تباعدت عن مخرج النون وليست من قَبِيلها، فلم تَخْفَ ههنا كما لم تدغم في هذا الموضع، وكما أن حروف اللسان لا تدغم في حروف الحلق، وإنما أخفيت النون في حروف الفم كما أدغمت في اللام وأخواتها. وهو قولك: من أجل زيدٍ، ومن هنا، ومن خلفٍ، ومن حاتمٍ، ومن عليك، ومن غَلَبك، ومُنْخُلٌ. بينةٌ، هذا الأجود الأكثر، وبعض العرب يجري الغين والخاء مجرى القاف..... [3]، فـ« البيان عبارة أخرى بمعنى الإظهار»[4]، قال ابن أبي مريم الشيرازي(ت بعد٥٦٥هـ): « وأما تبيين النون فإنما هو مع حروف

---

[1] السابق نفسه

(٢) أي النون الساكنة والتنوين.

(٣) الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٥٤ ، وينظر: الأصول في النحو: لابن السراج ٣/ ٤١٨تح: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت .

(٤) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص٥٥ .

الحلق، فإذا وقعت هذه النون الساكنة قبل حرف من حروف الحلق وجب تبيين النون» [١]. والبَيانُ: مَا بُيِّنَ بِهِ الشيءُ مِنَ الدَّلَالَةِ وغيرِها. وبانَ الشيءُ بَيانًا: اتَّضَح، فَهُوَ بَيِّنٌ ... وأَبَنْتُه أَنا أَي أَوْضَحْتُه. واستَبانَ الشيءُ: ظهَر. واستَبَنْتُه أَنا: عرَفتُه. وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَر[٢]، وأشار عبد الوهاب القرطبي(ت٤٦١هـ) إلى دلالة تسميته بالبيان ،فقال: « وحقيقته[٣]البيان لأن المخرج يُبيَّن بالقطع»[٤].

الوقفة الرابعة:

ورد في نص نافع عند تعداد حروف الإظهار «الألف»، و «والأَلِفُ: أَوَّلُ الحُرُوفِ» [٥]، قال الزبيدي(ت١٢٠٥هـ): « الْهمزَة ويُعبَّر عَنْهَا بالألف المَهموزةِ؛ لأَنها لَا تَقومُ بِنفْسِها وَلَا صُورَةَ لَهَا، فلِذَا تُكْتَبُ مَعَ الضَّمةِ واواً، وَمَعَ الكَسرةِ يَاء، وَمَعَ الفتحةِ أَلِفًا» [٦].

---

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها ١/ ١٦٨.

(٢) لسان العرب(ب ي ن)١٣/ ٦٧.

(٣) أي الإظهار.

(٤) الموضح في التجويد ص١٢١.

[٥] تاج العروس (أ ل ف) .

[٦] تاج العروس (أ ل ف) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ من ختمت به الرسالات، وبعد:

فختاما للحلقة الثانية مع العلامة عبد الرحمن السهيلي يمكن للبحث أن يضع بين أيديكم أهم النتائج التي توصل إليها.

ـ كان السهيلي ذا منهج معتدل في التعامل مع القراءات، حيث يقبل القراءات متواترة وشاذة، ويحتج بها في اللغة أصواتا وصرفا ونحوا ودلالة.

ـ ظهر من خلال البحث تميز أسلوب السهيلي وتماسك منهجه في التوجيه والتحليل ؛ حيث كان يسوق لكل أسلوب من أساليب احتجاجه الشواهد المناسبة للاحتجاج من كلام العرب ونظمهم وأقوال أرباب اللغة، مع مناقشة الأقوال والآراء مناقشة علمية هادئة.

ـ روافد الاحتجاج للقراءات عند السهيلي تتمثل في القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي، والسياق بنوعيه الداخلي والخارجي.

ـ أجاز في الكلام حذف حركة الإعراب تخفيفا من توالي الحركات اعتمادا علىٰ قراءة أبي عمرو البصري ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤] بإسكان الهمزة.

ـ استدل علىٰ جواز حذف التنوين لالتقاء الساكنين بقراءة أبي عمرو ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢]

ـ احتج السهيلي بالقراءات لبيان وجه تعدد الرواية في الحديث النبوي الشريف.

ـ ذكر السهيلي قراءة شاذة دون عزوٍ لم تذكرها كتب الشواذ ـ فيما لدي من مصادر ـ ولا كتب التفسير، ولا معاجم اللغة وهي قوله تعالىٰ ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم﴾[طه:٦١] بالجزم.

ـ تفرد السهيلي بتوجيه لبعض القراءات لم تذكره كتب التوجيه والاحتجاج، فعلى سبيل المثال في قوله تعالى ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾

[النمل:٢٢] ذكر أن قراءة فتح الكاف دالة على السكون والخلود، وقراءة الضم دالة على البطء، وبنى رأيه هذه على التأصيل اللغوي، وفي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧] ذكر أن قراءة ضم الصاد بمعنى الإعراض والعدول عن الحق، وقراءة الكسر بمعنى يعجّون ويضجون ويضحكون ويصيحون.

ـ استصوب السهيلي تفسير الغلول في قراءة ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١] بمعنى كتمان ما أنزل الله، وأيدنا ذلك بأدلة لغوية متنوعة.

اعتمد السهيلي في الضبط على ضبط العبارة لا ضبط القلم، وقد ظهر لنا بناء على هذا المنهج التحريف الذي أصاب ترجمة أحد رواة ورش عن نافع في غاية النهاية.

ـ أكد البحث أن رأي ابن جني في كتابه (المحتسب) يختلف عن رأيه في كتابه (الخصائص) فيما يتصل بالطعن في القراءات، ففي (الخصائص) يطعن في القراءة المتواترة ويصف القراء بالضعف، بينما نجده في (المحتسب) يحتج للقراءات الشاذة الواردة بحذف حركة الإعراب تخفيفا بقراءة أبي عمرو، ولعله رجع عن رأيه في الطعن في القراءات المتواترة، فإن أبا الفتح(ت٣٩٢هـ) ألَّف المحتسب وقد عَلَت به السن، وأشرف على نهاية العمر، فهو يمثل ذروة ما ألفه حين ختم به مؤلفاته الكبيرة، وهو خلاصة تجربة عميقة، وموهبة لغوية فذة.

ـ أظهر البحث أهمية جمع ما تفرق من أقوال الأئمة الأعلام في توجيه القراءات، ممن لم تكن لهم مصنفات مفردة في هذا الفن.

السهيلي لا يرى التوافق في المعنى بين القراءات المختلفة سواء كان الاختلاف في التركيب أم في اللغة أم في الحركة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بأهم المصادر والمراجع

الإبانة عن معاني القراءات : لمكي بن أبي طالب حَمّوشٍ القَيْسي (ت ٤٣٧هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه وشرحه وخرج قراءاته: د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر(د. ت).

إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع : للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ)،تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده بمصر (د.ت).

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري(ت نحو ٣٨٠هـ) مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٩م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ مـ.

إعراب القراءات الشواذ: لمحب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ) تحقيق: د. محمد السيد عزوز، الطبعة الأولىٰ، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦م.

إعراب القرآن : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

الاقتراح في أصول النحو: لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق د/ محمود فجال، مطبعة الثغر، جدة، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٩هـ.

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب: أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه: لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي (٥٨١هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة السعادة (د.ت).

الإملاء المختصر في شرح غريب السير: لأبي ذر الخشني الجياني الأندلسي، المعروف بابن أبي الركب (ت: ٦٠٤هـ)، استخرجه وصححه: بولس برونله، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان(د.ت).

إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.

البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: د. محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيىٰ بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (ت: ٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي – القاهرة،

١٩٦٧ م.

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (ت: ٨١٧هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

تاج العروس من جواهر القاموس :للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥ه)، تحقيق: علي هلالي، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ه) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

التحرير والتنوير= «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ه): الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ه) دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٧م .

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

تقريب النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٣هـ.

جامع البيان في القراءات السبع : للإمام الحافظ الكبير أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق :عبد الرحيم الطرهوني، د. يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٧١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي : أبو الفرج المعافىٰ بن زكريا (ت: ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِىٰ وكِفَايةُ الرَّاضِىٰ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت(د.ت).

حجة القراءات : للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الحجة في القراءات السبع: لابن خالويه (ت٣٧٠هـ):حققه: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد : تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت:٣٧٧هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، راجعه ودققه : عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث .

الخصائص : صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون: للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق وتعليق الشيخ / علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ جاد مخلوف جاد، د/ زكريا عبد المجيد النوتي، قدم له وقرظه د/ أحمد محمد صبره، دار الكتب العلمية بيروت لبنان . الطبعة الأولي ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الدرة الفريدة في شرح القصيدة: لابن النجيبين الهمذاني (ت٦٤٣هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. جمال محمد طلبة السيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

سر صناعة الأعراب : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) دراسة وتحقيق :د. حسن هنداوي ،دار القلم، دمشق،ط١ ،١٩٨٥م.

سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن

قَايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

الشذرات الفاخرة في توجيه القراءات المتواترة: د. مصطفىٰ أحمد محمد إسماعيل، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

شرح الجعبري علىٰ متن الشاطبية المسمىٰ كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق / فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ ط ١ سنة ٢٠١١ م .

شرح الهداية : للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو٤٤٠هـ)، تحقيق ودراسة : د/ حازم سعيد حيدر، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

شواذ القرآن واختلاف المصاحف: شمس الدين الكرماني محمد بن أبي نصر بن عبد الله(ت بعد ٥٦٠هـ)، تحقيق: أ.د/ الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلّام الجمحي (ت: ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة (د.ت).

العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

غريب الحديث : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم

الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: د. هيثم عياش، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٨م.

القراءات الشاذة = مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: لابن خالويه(ت٣٧٠هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة (د. ت)

القرينة الصوتية في النحو العربي، دراسة نظرية تطبيقية: د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، سلسلة الرسائل الجامعية ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها : لأبي القاسم يوسف بن علي بن محمد المغربي (ت ٤٦٥هـ) تحقيق وتعليق / الشيخ جمال بن السيد رفاعي الشايب، مؤسسة سما، ط١، ١٤٢٨هـ .

الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار : لأبي بكر أحمد بن إدريس (ق٤هـ)، تحقيق : عبد العزيز بن حميد الجهني مكتبة الرشد، ط ١ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

الكتاب لسيبويه(ت١٨٠هـ) : تحقيق: أ/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٨م.

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي،(ت ٤٣٧هـ) تحقيق / الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : لأبي البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي (ت:١٠٩٤هـ)، قابله علي نسخة خطية وأعده

للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.

لغات القرآن لأبي زكريا الفراء(ت٢٠٧هـ) رواية أبي بكر أحمد بن موسىٰ بن مجاهد عن محمد بن الجهم السِّمَّري، شرح وتعليق: الأستاذ الدكتور/ الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

اللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ م.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) : تحقيق / علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٦هـ) تح / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط١٤١٣،١هـ - ١٩٩٣م.

المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان محمد، أبو الحسن

نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت (د.ت).

معاني القرآن : لأبي زكرياء يحيي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة : أ / علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م .

معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي أسحق إبراهيم بن السِّري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

معرفة القراء الكبار علىٰ الطبقات والأعصار : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة بيروت/ الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

المغني في القراءات: لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النوزاوازي (ق ٦هـ)، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسىٰ الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرسائل العلمية ٤٩، الطبعة الأولىٰ ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ.

المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤١٢هـ.

مقاييس اللغة :لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تح: الشيخ عبد السلام هارون ،طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

المقتضب : محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، : محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت (د.ت).

المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الآمدي تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

الموضح في وجوه القراءات وعللها: للإمام نصر بن علىٰ بن محمد بن أبي عبد الله الشيرازي الفارسي اللغوي النحوي المعروف بابن أبىٰ مريم (ت بعد ٥٦٥هـ)، تحقيق ودراسة: د.عمر حمدان الكبيسي، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .

نتائج الفكر في النَّحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢ - ١٩٩٢م.

نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): محمد عبد الكريم

كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).
نكات القرآن: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن المقرئ (كتب في ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: د. نمشة بنت عبد الله الطوالة، أ. عائشة بنت محمد الشلوي، د. نسيبة بنت عبد العزيز الراشد، د. دلال بنت كويران السلمي، إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرسائل العلمية (٥٠)، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.
الهمز والتسهيل في القراءات واللهجات العربية: د/ أحمد طه حسانين سلطان، مكتبة وهبة، الطبعة الأولىٰ ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
الوجوه والنظائر : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ١٩٩٤م.

ثبت المحتويات

المحتويات	الصفحة
المقدمة:	١٠٢
المبحث الأول: توجيه القراءات والاحتجاج لها	١٠٧
الموضع الأول: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[البقرة:٢٠٤]	١١٠
الموضع الثاني: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا ﴾[آل عمران:٧٥]	١١٥
الموضع الثالث: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٦١]	١٢٣
الموضع الرابع: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء:٩٤]	١٣١
الموضع الخامس: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ [الأنفال:١] ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[الأنبياء:٩٨]	١٣٩
الموضع السادس: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[الأنبياء:٩٨]	١٤٧
الموضع السابع: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾[النمل:٢٢]	١٥٣
الموضع الثامن: القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا	١٦٠

المحتويات	الصفحة
﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧]	
المبحث الثاني: الاحتجاج بالقراءات	١٧١
أولا: المستوى الصوتي	١٧١
الموضع الأول: التهميز.	١٧١
الموضع الثاني: تخفيف الهمز	١٨٠
الموضع الثالث: التخلص من التقاء الساكنين	١٩٠
الموضع الرابع: حذف حركة الإعراب تخفيفا	١٩٥
ثانيا: المستوى الصرفي.	٢١٤
ثالثا: المستوى النحوي.	٢١٨
الموضع الأول: ﴿... قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ...﴾[البقرة:١٣٣]	٢١٨
الموضع الثاني: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[هود:٦٦]	٢٢٣
الموضع الثالث: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه:٦١]	٢٢٧
رابعا: المستوى الدلالي	٢٣١
خامسا: الضبط اللغوي	٢٣٤
الخاتمة	٢٣٩
ثبت بأهم المصادر والمراجع	٢٤١
ثبت الموضوعات	٢٥٢